

## 17-سورة الاسراء-مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ  
 لِزَيْنِهِ مِّنْ عَيْنِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ  
 أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾  
 وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لِنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلِنَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾  
 فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَاتَ وَعْدًا مَّفْعُولًا  
 ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٥﴾  
 إِنَّ أَحْسَنَكُمْ أَحْسَنَكُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوفُوا وَجُوهَكُمْ  
 وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٦﴾

(سُبْحَنَ الَّذِي)

فَالْتَسَبِيحُ إِنَّمَا يَكُونُ عِنْدَ الْأُمُورِ الْعِظَامِ وَ لَوْ كَانَ مَنَامًا لَمْ يَكُنْ فِيهِ كَبِيرُ شَيْءٍ وَلَمْ يَكُنْ مُسْتَغْظَمًا  
 وَ لَمَّا بَادَرَتْ كُفَّارٌ فُرَيْشَ إِلَى تَكْذِيبِهِ وَ لَمَّا ارْتَدَّ جَمَاعَةٌ مِّمَّنْ كَانَ قَدْ أَسْلَمَ.  
 وَ أَيْضًا فَإِنَّ الْعَبْدَ عِبَارَةٌ عَنْ مَجْمُوعِ الرُّوحِ وَ الْجَسَدِ

معجزة الاسراء 1

\*ينزه تعالى نفسه المقدسة و يعظمها لأن له الأفعال العظيمة والمنن الجسيمة التي من جملتها أن

(أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا) و رسوله محمد ﷺ

\*البخارى 4716- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: {وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ} [الإسراء: 60]

قَالَ: "هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ أَرَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرَى بِهِ {وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ} [الإسراء: 60]: شَجَرَةُ الرَّقُومِ"

وَ قَالَ تَعَالَى: {مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى} [النجم: 17] وَ الْبَصَرُ مِنْ آلَاتِ الذَّاتِ لَا الرُّوحِ.

وَ أَيْضًا فَإِنَّهُ حُمِلَ عَلَى الْبَرَاقِ وَ هُوَ دَابَّةٌ بَيضاء بَرَّاقَةٌ لَهَا لَمَعَانٌ وَ إِنَّمَا يَكُونُ هَذَا لِلْبَدَنِ لَا لِلرُّوحِ  
 لِأَنَّهَا لَا تَحْتَاجُ فِي حَرَكَتِهَا إِلَى مَرْكَبٍ تَرْكَبُ عَلَيْهِ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ.

(مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) الذى هو أجل المساجد على الإطلاق

(إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا) الذى هو من المساجد الفاضلة و هو محل الأنبياء.

فأسرى به فى ليلة واحدة إلى مسافة بعيدة جدا و رجع فى ليلته و أراه الله من آياته ما ازداد به هدى و بصيرة

و ثباتا و فرقانا و هذا من اعتناؤه تعالى به و لطفه حيث يسره ليسرى فى جميع أموره و حوَّله نعمًا فاق بها

الأولين و الآخرين

\*ظاهر الآية أن الإسراء كان في أول الليل و أنه من نفس المسجد الحرام لكن ثبت في الصحيح أنه أسرى به من بيت أم هانئ

فعلى هذا تكون الفضيلة في المسجد الحرام لسائر الحرم فكله تضاعف فيه العبادة كتضاعفها في نفس المسجد و أن الإسراء بروحه و جسده معا و إلا لم يكن في ذلك آية كبرى و منقبة عظيمة.

و قد تكاثرت الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ في الإسراء

و ذكر تفاصيل ما رأى و أنه أسرى به إلى بيت المقدس ثم عرج به من هناك إلى السماوات حتى وصل إلى ما فوق السماوات العلى و رأى الجنة و النار و الأنبياء على مراتبهم و فرض عليه الصلوات خمسين ثم ما زال يراجع ربه بإشارة موسى الكليم حتى صارت خمسا بالفعل و خمسين بالأجر و الثواب و حاز من المفاز تلك الليلة هو و أمته ما لا يعلم مقداره إلا الله عز وجل.

و ذكره هنا و في مقام الإنزال للقرآن و مقام التحدى بصفة العبودية لأنه نال هذه المقامات الكبار بتكميله لعبودية ربه.

(الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ) أى:- بكثرة الأشجار و الأنهار و الخصب الدائم.

و من بركته تفضيله على غيره من المساجد سوى المسجد الحرام و مسجد المدينة و أنه يطلب شد الرحل إليه للعبادة و الصلاة فيه و أن الله اختصه محلا لكثير من أنبيائه و أصفياه.

(لَنُرِيَهُ) محمد (مِنْ ءَايَاتِنَا) كَمَا قَالَ {لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى} [النَّجْم: 18]

(إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ) لجميع الأصوات (الْبَصِيرُ) بكل مُبَصَّر فيعطى كُلا ما يستحقه في الدنيا و الآخرة.

\* كثيرا ما يقرن البارى بين نبوة محمد ﷺ و نبوة موسى ﷺ و بين كتابيهما و شريعتيهما لأن كتابيهما أفضل الكتب و شريعتيهما أكمل الشرائع و نبوتيهما أعلى النبوات و أتباعهما أكثر المؤمنين **1** و لهذا قال هنا:-

(وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) الذى هو التوراة

الحديث عن بنى اسرائيل 8-2

(وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ) يهتدون به في ظلمات الجهل إلى العلم بالحق.

(أَلَّا) لئلا (تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا) وَلِيًّا وَ لَا نَصِيرًا وَ لَا مَعْبُودًا دُونِي لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ أَرْسَلَهُ أَنْ يَعْبُدَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

\*أى: و قلنا لهم ذلك و أنزلنا إليهم الكتاب لذلك ليعبدوا الله وحده و ينيبوا إليه و يتخذوه وحده وكيلا و مدبرا لهم في أمر دينهم و دنياهم و لا يتعلقوا بغيره من المخلوقين الذين لا يملكون شيئا و لا ينفعونهم بشيء ٢

يا (ذُرِّيَّةَ مَنْ) مننا عليهم و نجيناهم و (حَمَلْنَا) هم (مَعَ نُوحٍ) فِي السَّفِينَةِ فَتَشَبَّهُوا بِأَبْيَكُمُ

(إِنَّهُمْ كَانَتْ عَبْدًا شَكُورًا) ففيه:-

1-التنويه بالثناء على نوح عليه السلام بقيامه بشكر الله و اتصافه بذلك

2-و الحث لذريته أن يقتدوا به في شكره و يتابعوه عليه

3-و أن يتذكروا نعمة الله عليهم إذ أبقاهم و استخلفهم في الأرض و أغرق غيرهم.

\*مسلم (2734) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ (الأكلة هنا بفتح الهمزة وهي المرة الواحدة من الأكل كالغداء والعشاء) فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا»

\*البخارى 4712-فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ:-

يَا نُوحُ إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَ قَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٢٠﴾

(وَقَضَيْنَا) أى: تقدمنا و عهدنا إليهم و أخبرناهم فى كتابهم (إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ)

(لِنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلِنَعْلَنَ عُلُوقًا كَثِيرًا) أنهم لا بد أن يقع منهم إفساد في الأرض مرتين بـ:-

1-عمل المعاصى 2-و البطر لنعم الله 3-و العلو فى الأرض 4-و التكبر فيها

و أنه إذا وقع واحدة منهما سلط الله عليهم الأعداء و انتقم منهم و هذا تحذير لهم و إنذار لعلهم يرجعون

فيتذكرون ﴿٢١﴾

( فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَئِهِمَا ) أى: أولى المرتين اللتين يفسدون فيهما أى: إذا وقع منهم ذلك الفساد

(بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ)بعثنا قدريا و سلطنا عليكم تسليطا كونيا جزائيا

(عِبَادًا لَنَا أُولَى بِأْسٍ شَدِيدٍ)

ذوى شجاعة و عدد و عدة فنصرهم الله عليكم فقتلوكم و سبوا أولادكم و نهبوا أموالكم

(فَجَاسُوا خِلَالِ الدِّيَارِ)فهتكوا الدور و دخلوا المسجد الحرام و أفسدوه

(وَكَاثَ وَعْدًا مَفْعُولًا)لا بد من وقوعه لوجود سببه منهم.

و اختلف المفسرون فى تعيين هؤلاء المسلمين إلا أنهم اتفقوا على أنهم قوم كفار.

إما من أهل العراق أو الجزيرة أو غيرها سلطهم الله على بنى إسرائيل لما كثرت فيهم المعاصى و تركوا كثيرا من

شريعتهم و طغوا

\*و قَدْ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ مِنَ السَّلَفِ وَ الْخَلَفِ فِي هَؤُلَاءِ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ:-مَنْ هُمْ؟

فَعَن ابْنُ عَبَّاسٍ وَ قَتَادَةُ: أَنَّهُ جَالُوتُ الْجَزْرى وَ جُنُودُهُ سُلِّطَ عَلَيْهِمْ أَوَّلًا ثُمَّ أُدِيلُوا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ.

وَ قَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَ لِهَذَا قَالَ: (ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا

وَ عَنْ بَنِي جُبَيْرٍ:-أَنَّهُ مَلِكُ الْمُوصِلِ سِنْجَارِيْبُ وَ جُنُودُهُ. وَ عَنْهُ أَيْضًا وَ عَنْ غَيْرِهِ:-أَنَّهُ بُخْتَنْصَرُ مَلِكُ بَابِلَ ﴿٢٢﴾

( ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ )على هؤلاء الذين سلطوا عليكم فأجليتموهم من دياركم.

(وَأَمْدَدْنَكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ) أى: أكثرنا أرزاقكم و أكثرناكم و قويناكم عليهم

(وَجَعَلْنَكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا) منهم و ذلك بسبب إحسانكم و خضوعكم لله ﷻ

(إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ) لأن النفع عائد إليكم حتى في الدنيا كما شاهدتم من انتصاركم على أعدائكم.

(وَلِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا) فعليلها أى: -فلأنفسكم يعود الضرر كما أراكم الله من تسليط الأعداء.

\* كَمَا قَالَ {مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا} [فُصِّلَتْ: 46]

(فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ) أى: المرة الآخرة التى تفسدون فيها في الأرض سلطنا عليكم الأعداء.

(وعد الفساد الثانى لبنى اسرائيل و ليس المقصود به وعد يوم القيامة)

(لِيَسْتَوُوا وَجُوهَكُمْ) بانتصارهم عليكم و سيحكم فتظهر آثار الإهانة و المذلة على وجوهكم

(وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ) و المراد بالمسجد مسجد بيت المقدس.

(وَلِيَسْتَبْرُوا) أى: يخبروا و يدمروا في

(مَا عَلَوْا) عليه (تَبِيرًا) فيخبروا بيوتكم و مساجدكم و حروثكم

#### ذكر الاحاديث الواردة فى الاسراء

كَانَ الْإِسْرَاءُ قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِسَنَةٍ. وَكَذَا قَالَ عُرْوَةُ. وَ قَالَ السُّدِّيُّ: بِسَنَةِ عَشَرَ شَهْرًا.

\* مسلم (2375) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؓ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " أَتَيْتُ - وَ فِي رِوَايَةٍ هَذَا: مَرَرْتُ - عَلَى مُوسَى لَيْلَةً أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ وَ هُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ "

\* البخارى 349" ((([فَرَجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ فَنَزَلَ جَبْرِيلُ ؑ فَفَرَجَ صَدْرِي ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءٍ زَمْزَمَ ثُمَّ جَاءَ

بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِيٍّ حِكْمَةً وَ إِيمَانًا فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهُ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ](((

في البخارى 3207 ((([بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَ الْيَقْظَانِ - وَ ذَكَرَ: يَغْنَى رَجُلًا بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ -

فَأَتَيْتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُلًى حِكْمَةً وَ إِيمَانًا فَشَقَّ مِنَ النَّحْرِ إِلَى مَرَاقٍ الْبَطْنِ ثُمَّ غَسَلَ الْبَطْنَ بِمَاءٍ زَمْزَمَ ثُمَّ مُلًى حِكْمَةً وَ إِيمَانًا ](((

مسلم (162) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؓ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:-

« أَتَيْتُ بِالْبُرَاقِ وَ هُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضٌ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَ دُونَ الْبُغْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرَفِهِ » قَالَ:-

« فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ » ( لا يخلوا إما أن يكون مصدرا أو مكانا فإن كان مصدرا كان كقوله تعالى إليه مرجعكم ونحوه من المصادر وإن كان

مكانا فمعناه بيت المكان الذي جعل فيه الطهارة أو بيت مكان الطهارة و تطهيره إخلاؤه من الأصنام وإبعاده منها)

قَالَ:- « فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلَقَةِ (حلقة باب مسجد بيت المقدس) الَّتِي يَرِبُطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ »

قَالَ "ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ

ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جَبْرِيلُ ؑ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَ إِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ جَبْرِيلُ ؑ:- اخْتَرْتُ الْفِطْرَةَ

(فسروا هنا الفطرة بالإسلام والاستقامة ومعناه والله أعلم اخترت علامة الإسلام والاستقامة وجعل اللبن علامة لكونه سهلا طيبا سائغا للشاربين سليم العاقبة وأما الخمر فإنها أم

الخبائث وجالبة لأنواع من الشر في الحال والمآل)

ثُمَّ عَرَجَ (صعد) بِنَا إِلَى السَّمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جَبْرِيلُ قِيلَ: وَ مَنْ مَعَكَ؟

قَالَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِأَدَمَ فَرَحَبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ الْبَخَارِي 349))([فَلَمَّا فَتَحَ عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَإِذَا رَجُلٌ قَاعِدٌ عَلَى يَمِينِهِ أَسْوَدَةٌ وَعَلَى يَسَارِهِ أَسْوَدَةٌ إِذَا نَظَرَ قَبْلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ وَإِذَا نَظَرَ قَبْلَ يَسَارِهِ بَكَى فَقَالَ:- مَرَحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْإِبْنِ الصَّالِحِ قُلْتُ لِجَبْرِيلَ:- مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا آدَمُ وَهَذِهِ الْأَسْوَدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ فَأَهْلُ الْيَمِينِ مِنْهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ وَالْأَسْوَدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ فَإِذَا نَظَرَ عَنْ يَمِينِهِ ضَحِكَ وَإِذَا نَظَرَ قَبْلَ شِمَالِهِ بَكَى))([

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ **الثَّانِيَةِ** فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِيلُ عليه السلام فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جَبْرِيلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِابْنِى الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا فَرَحَبَا وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ **الثَّالِثَةِ** فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟

قَالَ: جَبْرِيلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ عليه السلام قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ عليه السلام إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ فَرَحَبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ **الرَّابِعَةِ** فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِيلُ عليه السلام قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جَبْرِيلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ فَرَحَبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا} [مريم: 57]

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ **الْخَامِسَةِ** فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِيلُ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: جَبْرِيلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ عليه السلام فَرَحَبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ **الْسَّادَةِ** فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِيلُ عليه السلام قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جَبْرِيلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى عليه السلام فَرَحَبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ \* وَفِي الْبَخَارِي 3207))([فَأَتَيْتُ عَلَى مُوسَى فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: مَرَحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ فَلَمَّا جَاوَزْتُ بَكَى فَقِيلَ: مَا أَبْكَاكَ؟ قَالَ:-

يَا رَبِّ هَذَا الْغُلَامُ الَّذِي بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَفْضَلُ مِمَّا يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي))([

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ **السَّابِعَةِ** فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جَبْرِيلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ عليه السلام قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟

قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ

ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السَّدْرَةِ الْمُنتَهَى (هكذا وقع في الأصول السدرة بالألف واللام وفي الروايات بعد هذا سدرة المنتهى قال ابن عباس والمفسرون وغيرهم سميت سدرة المنتهى لأن علم الملائكة ينتهي إليها ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنها سميت بذلك لكونها ينتهي إليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من أمر الله تعالى) وَإِذَا وَرَقُهَا كَأَذَانِ الْفِيلَةِ وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقُلُالِ (جمع قلة والقلة جرة كبيرة تسع قربتين أو أكثر)

"قَالَ:-" فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشَى تَغَيَّرَتْ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا \* فِي الْبَخَارِي 3207))([فَإِذَا نَبَقُهَا كَأَنَّهُ قِلَالٌ هَجَرَ وَوَرَقُهَا كَأَنَّهُ أَذَانُ الْفِيلِ فِي أَصْلِهَا أَرْبَعَةٌ أَنْهَارٌ نَهْرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ فَسَأَلْتُ جَبْرِيلَ فَقَالَ:- أَمَّا الْبَاطِنَانِ: فَفِي الْجَنَّةِ وَ أَمَّا الظَّاهِرَانِ:- النَّيْلُ وَالْفَرَاتُ))([

\* قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ:- [[وَرَأَى هُنَالِكَ جَبْرِيلَ عَلَى صُورَتِهِ وَ لَهُ سِتْمَائَةٌ جَنَاحَ وَ رَأَى رَفْرَفًا أَخْضَرَ قَدْ سَدَّ الْأَفْقَ]]

\* فِي الْبَخَارِي 349))([ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيْفَ الْأَقْلَامِ))([

فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى فَفَرَضَ عَلَى خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَ لَيْلَةٍ



فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ فَقَالَ:- مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً  
قَالَ:- ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ "  
قَالَ:- "فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ: يَا رَبِّ خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ:  
حَطَّ عَنِّي خَمْسًا قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ "

قَالَ:- " فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعْ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى ﷺ حَتَّى قَالَ:  
يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُمْ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً  
وَمَنْ هُمْ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا  
وَمَنْ هُمْ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةً "  
قَالَ: " فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ "  
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ "

\* في البخارى 349(((ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا حَبَائِلُ اللُّؤْلُؤِ وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ)))))

\* قال ابن كثير: [[ثُمَّ هَبَطَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَ هَبَطَ مَعَهُ الْأَنْبِيَاءُ فَصَلَّى بِهِمْ فِيهِ لَمَّا حَانَتِ الصَّلَاةُ  
وَ يُحْتَمَلُ أَنَّهَا الصُّبْحُ مِنْ يَوْمٍ مِيذٍ

ثُمَّ خَرَجَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَرَكِبَ الْبُرَاقَ وَ عَادَ إِلَى مَكَّةَ بِغَلَسٍ وَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ.  
وَ أَمَّا عَرْضُ الْآيَةِ عَلَيْهِ مِنَ اللَّبَنِ وَالْعَسَلِ أَوْ اللَّبَنِ وَالْخَمْرِ أَوْ اللَّبَنِ وَ الْمَاءِ أَوْ الْجَمِيعِ -فَقَدْ وَرَدَ أَنَّهُ فِي بَيْتِ  
الْمَقْدِسِ وَ جَاءَ أَنَّهُ فِي السَّمَاءِ وَ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ هَاهُنَا وَ هَاهُنَا لِأَنَّهُ كَالضِّيَافَةِ لِلْقَادِمِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ]]  
\* أحمد 21313 - حَدَّثَنَا عَفَّانُ حَدَّثَنَا هَمَّامٌ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي ذَرٍّ:-

لَوْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَسَأَلْتُهُ. قَالَ: وَ مَا كُنْتَ تَسْأَلُهُ؟ قَالَ: كُنْتُ أَسْأَلُهُ هَلْ رَأَى رَبَّهُ؟  
قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَأَلْتُهُ فَقَالَ: "قَدْ رَأَيْتُهُ نُورًا أَنَّى أَرَاهُ؟

\* البخارى 4710 - عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:  
«لَمَّا كَذَّبْتَنِي قُرَيْشٌ قُمْتُ فِي الْحَجَرِ فَجَلَّى اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَطَفِفْتُ أَخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَ أَنَا أَنْظَرُ إِلَيْهِ»  
زَادَ يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا ابْنُ أَخِي ابْنِ شَهَابٍ عَنْ عَمِّهِ  
«لَمَّا كَذَّبْتَنِي قُرَيْشٌ حِينَ أُسْرِى بِي إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ» نَحْوَهُ.

\* أحمد 2819 - عن ابن عباس قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

لَمَّا كَانَ لَيْلَةُ أُسْرِي بِي وَ أَصْبَحْتُ مِمَّا فَطَعْتُ بِأَمْرِي وَ عَرَفْتُ أَنَّ النَّاسَ مُكْذِبِي "  
فَقَعَدَ مُعْتَزِلًا حَزِينًا قَالَ: فَمَرَّ بِهِ عَدُوُّ اللَّهِ أَبُو جَهْلٍ فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْهِ  
فَقَالَ لَهُ كَأَلْمُسْتَهْزِي: هَلْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " نَعَمْ " قَالَ: مَا هُوَ؟  
قَالَ:- "إِنَّهُ أُسْرِى بِي اللَّيْلَةَ " قَالَ: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: " إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ؟ "  
قَالَ: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا؟ قَالَ: " نَعَمْ "

قَالَ: فَلَمْ يَرِهِ أَنَّهُ يَكْذِبُهُ مَخَافَةً أَنْ يَجْحَدَهُ الْحَدِيثُ إِنْ دَعَا قَوْمَهُ إِلَيْهِ

قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَوْتُ قَوْمَكَ تُحَدِّثُهُمْ مَا حَدَّثْتَنِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " نَعَمْ "

فَقَالَ: هَيَّا مَعْشَرَ بَنِي كَعْبٍ بَنِ لُؤَيٍّ حَتَّى قَالَ: فَانْتَفَضْتُ إِلَيْهِ الْمَجَالِسُ وَجَاءُوا حَتَّى جَلَسُوا إِلَيْهِمَا  
قَالَ: حَدِّثْ قَوْمَكَ مِمَّا حَدَّثْتَنِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:- "إِنِّي أُسْرِى بِي اللَّيْلَةَ قَالُوا: إِلَى أَيْنَ؟

قَالَ: إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ قَالُوا: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا؟ "

قَالَ:- " نَعَمْ " قَالَ: فَمِنْ بَيْنِ مُصَفِّي وَ مِنْ بَيْنِ وَاضِعِ يَدِهِ عَلَى رَأْسِهِ مُتَعَجِّبًا لِلْكَذِبِ زَعَمَ

قَالُوا:- وَ هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْتَعْتَ لَنَا الْمَسْجِدَ؟ وَ فِي الْقَوْمِ مَنْ قَدْ سَافَرَ إِلَى ذَلِكَ الْبَلَدِ  
وَ رَأَى الْمَسْجِدَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " فَذَهَبْتُ أَنْعْتُ فَمَا زِلْتُ أَنْعْتُ حَتَّى التَّبَسَ عَلَيَّ بَعْضُ النَّعْتِ "  
قَالَ: فَجِئْتُ بِالْمَسْجِدِ وَأَنَا أَنْظُرُ حَتَّى وَضَعَ دُونَ دَارِ عِقَالٍ أَوْ عَقِيلٍ فَنَعْتُهُ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ "  
قَالَ: وَ كَانَ مَعَ هَذَا نَعْتُ لَمْ أَحْفَظْهُ " قَالَ: " فَقَالَ الْقَوْمُ: أَمَّا النَّعْتُ فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَصَابَ "  
\*مسلم (173) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ انْتَهَى بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى  
وَ هِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ إِلَيْهَا يَنْتَهَى مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ فَيُقَبَّضُ مِنْهَا وَ إِلَيْهَا يَنْتَهَى مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ  
فَوْقِهَا فَيُقَبَّضُ مِنْهَا» قَالَ: " {إِذْ يَغْشَى} [النجم: 16] السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى " قَالَ: «فَرَأَشُ مِنْ ذَهَبٍ»  
(الفرش دويبة ذات جناحين تتهاافت في ضوء السراج واحدها فراشه) قَالَ:- " فَأَعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثًا:-

1- أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ

2- وَ أُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ

3- وَ غُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا الْمُقْحِمَاتُ " (معناه الذنوب العظام الكبائر التي تهلك أصحابها وتوردهم النار وتقحمهم إياها  
والتقحم الوقوع في المهالك ومعنى الكلام من مات من هذه الأمة غير مشرك بالله غفر له المقححات)

\*مسلم (168) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:-

«حِينَ أُسْرِيَ بِي لَقِيتُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَنَعَتَهُ النَّبِيُّ ﷺ - فَإِذَا رَجُلٌ - حَسْبَتْهُ قَالَ - مُضْطَرِبٌ (هو مفتعل من الضرب) رَجُلُ الرَّأْسِ  
(رجل الشعر وسيأتي معناه قريباً) كَأَنَّهُ مِنْ رَجَالِ شَنْوَةِ» قَالَ:- «وَ لَقِيتُ عِيسَى - فَنَعَتَهُ النَّبِيُّ ﷺ -

فَإِذَا رَبْعَةٌ (بين الطويل والقصير) أَحْمَرُ كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيْمَاسٍ - يَعْنِي حَمَامًا - (يعنى في نضارته وكثرة ماء وجهه كأنه خرج من كن لأنه قال في  
وصفه كأن رأسه يقطر ماء) قَالَ:- «وَ رَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَ أَنَا أَشْبَهُ وَلَدِهِ بِهِ»

قَالَ: " فَأَتَيْتُ بَانَاءَيْنِ فِي أَحَدِهِمَا لَبَنٌ وَ فِي الْآخَرِ خَمْرٌ فَقِيلَ لِي: خُذْ أَيْهِمَا شِئْتَ  
فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَشَرِبْتُهُ فَقَالَ: هَدَيْتَ الْفِطْرَةَ - أَوْ أَصَبْتَ الْفِطْرَةَ - أَمَّا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ "

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي

لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾

وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾

وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ

فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ

وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلَنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ

كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مِّنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِ لِنَفْسِهِ

وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾

وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

(عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ) فيديل لكم الكرة عليهم فرحمهم و جعل لهم الدولة. و توعدهم على المعاصي فقال:-

(وَإِنْ عُدتُمْ) إلى الإفساد في الأرض

(عُدْنَا) إلى عقوبتكم فعادوا لذلك فسلط الله عليهم رسوله محمدا ﷺ فانتقم الله به منهم

فهذا جزاء الدنيا و ما عند الله من النكال أعظم و أشنع و لهذا قال:-

(وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا) مُسْتَقَرًّا وَ مَحْصَرًا وَ سِجْنًا وَ فِرَاشًا وَ مِهَادًا. لَا مَحِيدَ لَهُمْ عَنْهُ

فهم يصلونها و يلازمونها لا يخرجون منها أبدا.

\* و في هذه الآيات:-

التحذير لهذه الأمة من العمل بالمعاصي لئلا يصيبهم ما أصاب بنى إسرائيل فسنة الله واحدة لا تبدل و لا تغير.

و من نظر إلى تسليط الكفرة على المسلمين و الظلمة عرف أن ذلك من أجل ذنوبهم عقوبة لهم

و أنهم إذا أقاموا كتاب الله و سنة رسوله مكن لهم في الأرض و نصرهم على أعدائهم 8



## ﴿وَلِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾

أنا امرأة متزوجة ولدي طفلتان، وبسبب ظروف الحياة الصعبة، وبسبب دراستي الجامعية اندرجتُ في العمل بأحد البنوك الربوية، وأنا أحب بطبيعتي التفاني والإخلاص في العمل؛ فكنت من الموظفين النشيطات المتميزات والمحوبات من الزبائن، لا أزعج أنني لم أكن أعلم أن العمل بالربا حرام؛ ولكن لم يكن لدي الوازع الديني القوي لِيَرْدَعَنِي، وبالرغم من ذلك كنت دائماً أشعر أن هناك خطأ ما، وأن مكاني المناسب ليس هنا، إلى أن تُوِّفِّي أبي وبدأتُ بقراءة القرآن بتدبر فتأثرت جداً بقوله تعالى في سورة الحاقة: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْقِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيِّنَنِي لَمْ أُؤْتَ كِتَابِيَهٗ ۖ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَذَرَ مَا حِسَابِيَهٗ ۖ ﴿٢٦﴾ يَلَيِّنَهَا كَأَنَّ الْقَاضِيَةَ ۖ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهٗ ۖ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهٗ ۖ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۖ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۖ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۖ ﴿٣٢﴾﴾، فكانت هذه الآيات تصيبني بنوبة بكاءٍ شديدة، وخوفٍ وهلعٍ كلما تصورت نفسي مع مَنْ سيؤتى كتابه بشماله، فكنت في داخلي أتمنى أن أصبح من الأخوات الملتزمات، ومع الوقت تكاثرت الديون الربوية عليّ وعلى زوجي لبناء البيت فكنْتُ مقيدة بها شَرَّ تقييد.

وفي إحدى الليالي تسللتُ من فراشي وفرشت سجادي وصليت ورفعت يدي لله، وسألته أن يتوب عليّ من العمل في البنوك، وأن يُدبر لي لأنني لا أحسن التدبير، وأن يختار لي لأنني لا أحسن الاختيار.

وعلمت فيما بعد بأنني في هذا الدعاء قد تبرأت من حَوْلي وقُوِّي دون أن أشعر، وحصل بعد ذلك أن انتقلنا لفرع جديد لهذا البنك تم تأسيسه، فبدأت الزيادات والترقيات وشهادات الشكر، وزاد حب الزبائن وتقدير المديرين لي، حتى أصبحت إن غبتُ عن العمل تتعطل المعاملات المنوطة بي، وأصبحت أديرُ

مَنْصِبَيْنِ مَعًا فِي آنٍ وَاحِدٍ، وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ فَقَطْ مِنْ تَأْسِيسِ الْفَرْعِ الْجَدِيدِ شَعَرْتُ  
فَجْأَةً بِالْمُ شَدِيدٍ فِي خَاصِرَتِي؛ فَأَخَذَنِي زَوْجِي إِلَى الْمُسْتَشْفَى، وَتَمَّ اكْتِشَافُ وَرْمٍ  
خَبِيثٍ (سُرْطَانِي) أَدَّى إِلَى اسْتِثْصَالِ الرَّحِمِ بِالْكَامِلِ، وَكَانَتِ النَّتَائِجُ تَقُولُ بِأَنَّ  
عُمُرَ الْوَرْمِ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ فَقَطْ، فَعَلِمْتُ مُبَاشَرَةً أَنَّ هَذَا هُوَ تَرْتِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ لِي؛  
لِأَنَّ عُمُرَ الْمَرَضِ هُوَ نَفْسُهُ عُمُرُ تَأْسِيسِ الْفَرْعِ الْجَدِيدِ.

كَانَ أَوَّلُ مَا فَعَلْتُهُ أَنَّ كَتَبْتُ اسْتِقَالَتِي مِنَ الْبَنْكِ دُونَ تَفْكِيرٍ، وَقَدْ تَعَرَّضْتُ  
لِضُغُوطٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْأَهْلِ وَالْمَدِيرِينَ فِي الْبَنْكِ، وَنَصَحُونِي بِعَدَمِ التَّسَرُّعِ لِأَنِّي وَاقِعَةٌ  
تَحْتَ ضُغْطِ نَفْسِي يَمْنَعُنِي مِنَ التَّفْكِيرِ السَّلِيمِ، لَكِنِّي كُنْتُ مُتَيَقِّنَةً بِأَنَّ اللَّهَ سَيَخْتَارُ  
لِي، وَبَعْدَهَا خَضَعْتُ لِلْعِلَاجِ الْكِيمَاوِيِّ، وَكَانَ زَوْجِي -بَعْدَ اللَّهِ تَعَالَى- خَيْرَ عَوْنٍ  
وَرَفِيقٍ وَصَاحِبٍ لِي فِي هَذَا الْإِبْتِلَاءِ، وَكَانَ كِتَابُ اللَّهِ بِيَدِي دَائِمًا، فَاسْتَوْفَقْتَنِي فِيهِ

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ ۖ وَإِنْ عُثِمَ غَدَاكُمُ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ <sup>(١)</sup>.

لَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْآيَةُ - وَلَا تَزَالُ - خَطًّا أَهْمَرُ بِالنِّسْبَةِ لِي، وَجَرَسَ إِنْذَارٌ قَوِي لَا  
يُمْكِنُنِي تَجَاوُزَهُ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

\*يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ شَرَفِ الْقُرْآنِ وَجَلَالَتِهِ

#### مهمة القرآن 10-9

و ( إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ) أَعْدَلُ وَ أَعْلَى مِنَ الْعُقَائِدِ وَ الْأَعْمَالِ وَ الْأَخْلَاقِ  
فَمَنْ اهْتَدَى بِمَا يَدْعُو إِلَيْهِ الْقُرْآنُ كَانَ أَكْمَلَ النَّاسِ وَ أَقْوَمَهُمْ وَ أَهْدَاهُمْ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ.

(وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ) مِنَ الْوَاجِبَاتِ وَ السَّنَنِ

(أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) أَعَدَّهُ اللَّهُ لَهُمْ فِي دَارِ كِرَامَتِهِ لَا يَعْلَمُ وَصْفَهُ إِلَّا هُوَ ①

آيَةُ لَا تَنْسَى!

عِنْدَ التَّحَاقِّي لِأَوَّلِ مَرَّةٍ بِدَارِ التَّحْفِيزِ قَرَأْتُ فِي وَرْدِي الْيَوْمِيِّ: ﴿إِنَّ هَذَا  
الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ <sup>(٣)</sup>، أَحْسَسْتُ حِينَهَا بِأَنَّنِي سَأَتَغَيِّرُ مَعَ الْقُرْآنِ  
الْكَرِيمِ، لَكِنِّي مَا كُنْتُ أَدْرِي مَا هُوَ نَوْعُ الْهَدَايَةِ ﴿لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ ؟

وَلَكِنِ مَا مَرَّ - وَاللَّهِ - شَهْرَانِ عَلَى التَّحَاقِّي بِالْدارِ إِلَّا وَأَصْبَحْتُ أَحْسَنَ بِلْدَةٍ  
فِي عِبَادَاتِي وَصِيَامِي، وَفِي قِيَامِ اللَّيْلِ خَاصَّةً وَحُبِّهِ الصَّالِحِينَ، ثُمَّ بَعْدَ سَتَيْنِ حَفِظْتُ  
الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ كَامِلًا - وَاللَّهُ الْحَمْدُ - مَعَ أَنِّي كُنْتُ مِنْذُ بَدَايَةِ التَّحَاقِّي بِالْدارِ لَا  
أَحْفَظُ سِوَى أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ، فَأَدْرَكَتُ أَنَّ هَذِهِ هِيَ بَرَكَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

(وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) فَالْقُرْآنُ مُشْتَمِلٌ عَلَى الْبَشَارَةِ وَ النِّذَارَةِ

\* و ذكر الأسباب التي تنال بها البشارة و هو الإيمان و العمل الصالح و التي تستحق بها النذارة و هو ضد ذلك

آيات الله في الكون و سنته في عبادته 11-22



(وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ) على نفسه (بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ أَي: - كما يدعو لنفسه (بِالْخَيْرِ) <sup>ط</sup>

و هذا من جهل الإنسان و عجلته حيث يدعو على نفسه و أولاده و ماله بالشر عند الغضب

و يبادر بذلك الدعاء كما يبادر بالدعاء في الخير

و لكن الله - بلطفه - يستجيب له في الخير و لا يستجيب له بالشر .

{ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفَضَحْ إِلَىٰهِمْ أَجَلُهُمْ } [يونس: 11]

\* مسلم (3009) سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ بَطْنُ بَوَاطٍ (جبل من جبال جهينة) وَهُوَ يَطْلُبُ الْمَجْدِيَّ بْنَ عَمْرِو الْجُهَنِيِّ وَكَانَ النَّاضِحُ يَعْتَقِبُهُ مِنَّا الْخُمْسَةُ وَ السُّتَّةُ وَالسَّبْعَةُ فَدَارَتْ عَقْبَةُ رَجُلٍ (العقبه ركوب هذا نوبة وهذا نوبة قال صاحب

العين هي ركوب مقدار فرسخين) مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى نَاضِحٍ (البعير الذي يستقى عليه) لَهُ فَأَنَاحَهُ فَرَكِبَهُ ثُمَّ بَعَثَهُ فَتَلَدَّنَ (تلكأ وتوقف) عَلَيْهِ

بَعْضُ التَّلَدُّنِ فَقَالَ لَهُ: شَأْ (كلمة زجر للبعير يقال شأأت بالبعير بالمعجمة والمهملة إذا زجرته و قلت له شأ) لَعَنَكَ اللَّهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: -

«مَنْ هَذَا اللَّاعِنُ بَعِيرُهُ؟» قَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «انْزِلْ عَنْهُ فَلَا تَصْحَبْنَا مَلْعُونٍ لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَ لَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ وَ لَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ لَا تَوَافِقُوا مِنْ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ»

\* وَإِنَّمَا يَحْمِلُ ابْنُ آدَمَ عَلَى ذَلِكَ عَجَلَتُهُ وَ قَلْفُهُ وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى (وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا) ﴿١١﴾

(وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ) أَي: داليتين على كمال قدرة الله و سعة رحمته و أنه الذي لا تبغى العبادة إلا له .

(فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ) أَي: جعلناه مظلما للسكون فيه و الراحة

(وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً) مضئية

(لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ) في معاشكم و صنائعكم و تجاراتكم و أسفاركم .

(وَلِتَعْلَمُوا) بتوالي الليل و النهار و اختلاف القمر

(عَدَدَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) فتبنون عليها ما تشاءون من مصالحكم .

\* فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ الزَّمَانُ كُلُّهُ نَسَقًا وَاحِدًا وَ أَسْلُوبًا مُمْتَسَاوِيًا لَمَا عُرِفَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ

كَمَا قَالَ {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَمْ لَا تَسْمَعُونَ} قُلْ

أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَمْ لَا تُبْصِرُونَ} وَمِنْ

رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ [القصص]

وَ قَالَ {تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا} وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ

يَذْكُرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا [الفرقان] وَ قَالَ {وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ} [المؤمنون: 80]

وَ قَالَ: {يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ

[الزمر: 5] وَ قَالَ {فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} [الأنعام: 96]

وَ قَالَ {وَأَيُّهُ لَهْمُ اللَّيْلِ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلَمُونَ} وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ [يس]

\*ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى جَعَلَ لِلَّيْلِ آيَةً أَي: عَلَامَةً يُعْرِفُ بِهَا وَهِيَ الظَّلَامُ وَظُهُورُ الْقَمَرِ فِيهِ وَ لِلنَّهَارِ عَلَامَةً وَهِيَ النُّورُ وَ ظُهُورُ الشَّمْسِ النَّيِّرَةِ فِيهِ وَ فَاتَتْ بَيْنَ ضِيَاءِ الْقَمَرِ وَ بُرْهَانِ الشَّمْسِ لِيُعْرِفَ هَذَا مِنْ هَذَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ} إِلَى قَوْلِهِ: {لَا يَاتِ لِقَوْمٍ يُتَّقُونَ} [يُونُس: 65] كَمَا قَالَ {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ} [البقرة: 189]

(وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلَتُهُ تَفْصِيلًا) بينا الآيات و صرفناه لتمييز الأشياء و يستبين الحق من الباطل كما قال تعالى:-

{مَا قَرَأْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} [الأنعام: 38] ﴿١٢﴾

يخبر الله عن كمال عدله فقال:-

(وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلَازِمَةٌ لَطَائِرُهُ فِي عُنُقِهِ)

ما عمل من خير و شر يجعله الله ملازما له لا يتعداه إلى غيره فلا يحاسب بعمل غيره و لا يحاسب غيره بعمله.  
\*وَالْمَقْصُودُ أَنَّ عَمَلَ ابْنِ آدَمَ مَحْفُوظٌ عَلَيْهِ قَلِيلُهُ وَ كَثِيرُهُ وَ يُكْتَبُ عَلَيْهِ لَيْلًا وَ نَهَارًا صَبَاحًا وَ مَسَاءً.

(وَيُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ) فيه ما عمله من الخير و الشر حاضرا صغيره و كبيره  
\*نَجْمَعُ لَهُ عَمَلَهُ كُلَّهُ فِي كِتَابٍ يُعْطَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِمَّا بِيَمِينِهِ إِنْ كَانَ سَعِيدًا أَوْ بِشِمَالِهِ إِنْ كَانَ شَقِيًّا  
(مَنْشُورًا) مَفْتُوحًا يَقْرُؤُهُ هُوَ وَ غَيْرُهُ فِيهِ جَمِيعُ عَمَلِهِ مِنْ أَوَّلِ عُمُرِهِ إِلَى آخِرِهِ

{يُنَبِّئُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ} 13 بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ 14 وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ [القيامة: ١٣] ﴿١٣﴾

و يقال له:- (أَقْرَأْ كِتَابَكَ) كتاب أعمالك فيقرأ و إن لم يكن يعرف القراءة في الدنيا

(كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا) تكفيك نفسك اليوم محصية عليك عملك فتعرف ما عليها من جزاء  
\*و هذا من أعظم العدل و الإنصاف أن يقال للعبد:-

حاسب نفسك ليعرف بما عليه من الحق الموجب للعقاب.  
\*إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّكَ لَمْ تُظْلَمْ وَ لَمْ يُكْتَبْ عَلَيْكَ غَيْرُ مَا عَمِلْتَ لِأَنَّكَ ذَكَرْتَ جَمِيعَ مَا كَانَ مِنْكَ وَ لَا يَنْسَى أَحَدٌ شَيْئًا مِمَّا كَانَ مِنْهُ ﴿١٤﴾

(مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا)

أى: هداية كل أحد و ضلاله لنفسه لا يحمل أحد ذنب أحد و لا يدفع عنه مثقال ذرة من الشر و الله تعالى  
أعدل العادلين لا يعذب أحدا حتى تقوم عليه الحجة بالرسالة ثم يعاند الحجة.

(وَلَا تُزِرُّ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَىٰ) لَا يَحْمِلُ أَحَدٌ ذَنْبَ أَحَدٍ وَ لَا يَجْنِي جَانٍ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى:-

{وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَلِيلٍهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ} [فاطر: 18]

\*و لَا مُنَافَاةَ بَيْنَ هَذَا وَ بَيْنَ قَوْلِهِ {وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ} [العنكبوت: 13] وَ قَوْلُهُ {وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ  
بِغَيْرِ عِلْمٍ} [النحل: 25] فَإِنَّ الدُّعَاءَ عَلَيْهِمْ إِثْمٌ ضَلَالِهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ  
وَ إِثْمٌ آخَرٌ بِسَبَبِ مَا أَضَلُّوا مَنْ أَضَلُّوا مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أَوْزَارِ أُولَئِكَ وَ لَا يَحْمِلُوا عَنْهُمْ شَيْئًا.

وَهَذَا مِنْ عَذْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ. وَكَذَا قَوْلُهُ {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا} إِبْخَارٌ عَنْ عَذْلِهِ تَعَالَى وَ أَنَّهُ لَا يُعَذِّبُ أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ بِإِرْسَالِ الرَّسُولِ إِلَيْهِ كَمَا قَالَ {كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ} 8 قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ [المُلْك]

(وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ) أَحَدًا (حَقٌّ نَبْعَثَ رَسُولًا) إلا بعد إقامة الحجة عليه بإرسال الرسل و إنزال الكتب.

\* و أما من انقاد للحجة أو لم تبلغه حجة الله تعالى فإن الله تعالى لا يعذبه.

\* و استدل بهذه الآية على أن أهل الفترات و أطفال المشركين لا يعذبهم الله حتى يبعث إليهم رسولا لأنه منز

عن الظلم ﴿١٥﴾

( وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً ) يخبر تعالى أنه إذا أراد أن يهلك قرية من القرى الظالمة و يستأصلها بالعذاب

(أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا) أمرا قدريا (فَفَسَقُوا فِيهَا) و اشتد طغيانهم

\* فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ قَالُوا: -مَعْنَاهُ: -أَنَّهُ سَخَّرَهُمْ إِلَى فِعْلِ الْفَوَاحِشِ فَاسْتَحَقُّوا الْعَذَابَ.

(فَحَقٌّ) وجب (عَلَيْهَا الْقَوْلُ) أى: - كلمة العذاب التى لا مرد لها (فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا) ﴿١٦﴾

(وَكَمٌ) كثير ممن (أَهْلَكْنَا مِنْ الْقُرُونِ) الأمم أبادهم الله بالعذاب

(مِنْ بَعْدِ) قوم (نُوحٌ) ك: - عاد و ثمود و قوم لوط و غيرهم ممن عاقبهم الله لما كثر بغيهم و اشتد كفرهم أنزل

الله بهم عقابه العظيم.

(وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ إِذْنُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا بَصِيرًا) فلا يخافوا منه ظلما و أنه يعاقبهم على ما عملوه.

الاعجاز فى (فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) الرابط

قال تعالى: { وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً } [الإسراء: 12]

و قد ضُرب بهما مثل للكفر و الإيمان (هذا ما رآه ابن عاشور فى تفسيره "التحرير و التنوير")

كما روى من قبل عن قتادة و مجاهد بل إن ابن عباس قال: "كان القمر يضيء كما تضيء الشمس"

العلم الحديث:

و لكن ماذا عن العلم الحديث ؟ هل يذكر هذه الظاهرة ؟ الإجابة: نعم

فقد كان سطح القمر ملتهباً يوماً ما فى يوم كانت فيه الأرض فى حالة صلبة هذا ما يقوله العلم ذلك لأن كل المجموعة الشمسية كانت عبارة عن كرات نارية ثم تصلبت منذ حوالى 4.6 بليون سنة لكن هذه الأجرام لم تتصلب فى آن واحد بل كان هناك تتابع فى هذه العملية .

و من تلك الأجرام ما بقى كما هو ملتهباً ( الشمس ) و الأجرام التى تتصلب أولاً هى الأعلى كثافة

و قد تبين أن كوكب الأرض هو الأعلى كثافة 5.52 يتبعه عطارد 5.4 أما القمر فكثافته 3.35 جم/سم<sup>3</sup>

إذاً فقد تكتفت الأرض قبل القمر ( و كانت الشمس و لا زالت ملتهبة ) .

كما أن هناك ظاهرتان ساهمتا فى تأخير تصلب القمر:

الظاهرة الأولى :-

أن القمر لم يتكتف مثل الأرض ذرة بذرة و طبقة طبقة بل إنه عبارة عن تجميع لأجزاء متكتفة من السديم .

### أما الظاهرة الثانية:-

و هي الأهم فهي نمو جاذبية القمر مع تصلبه نتيجة زيادة حجمه مما جعل سرعة اصطدام النيازك المصطدمة به عالية جداً فولد ذلك درجة حرارة فائقة مما أوجد ظاهرة فريدة إذ صارت الطبقة الخارجية للقمر ( 150-200 كم ) ملتهبة بينما لب القمر متصلب (4).

### الخلاصة:

\* إذاً لقد سبق القرآن كل هؤلاء في ذكر حقيقة أن القمر كان يوماً مضيئاً بذاته و لم يقع في خطأ كتب اليهود التي ذكرت ذلك في إطار خرافة (أن السماوات والأرض حزنوا لخروج آدم من الجنة إلا القمر الذي ضحك عليه فعاقبه الله بطمس ضوئه!)

يدعم ما ذهبنا إليه قوله تعالى في آخر الفقرة (وَلِتَعْلَمُوا عَدَّةَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ)

فمن المعروف أن السنة إما أن تكون شمسية أو قمرية و لو كان القمر مستمراً في الإضاءة الذاتية لما أمكن للإنسان حساب السنين ذلك للالتباس بين ضوئه وضوء الشمس فكأنما سيكون هناك شمسان .

\* و قد كان القرآن معجزاً كذلك في موضع ذكر هذه الحقيقة إذ سبقها ذكر هلاك بنى إسرائيل مرتين:-

(وَقَصَّيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لُفْئُسِدْنَ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلِتَعْلَمَ عُلُوًّا كَبِيرًا 4 فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا 5 ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا 6 إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا 7 عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا) [الإسراء]

\* قوله تعالى: (عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ..) أي: باتباعكم نبي آخر الزمان المذكور عندكم

و هو النبي محمد ﷺ تكلمنا في مقال سابق عن نبوءة في مخطوطات البحر الميت عن ظهور النبي ﷺ بعد الهالكين سالفى الذكر لليهود .

\* أى أن النبي المنتظر وأتباعه هم ضوء الشمس المشرق و أن نبوءة و ملك اليهود قد ذهباً كما ذهب ضوء القمر . و الله من وراء القصد.



مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾  
 وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾  
 كَلَّا نُمَدِّدُ هَتُولَاءِ وَهَتُولَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا  
 بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ  
 فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا ﴿٢٢﴾ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا  
 إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَمْرٌ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا  
 ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾  
 رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾  
 وَآتَٰ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذَرْ بَذِيرًا ﴿٢٦﴾  
 إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

يخبر تعالى أن (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ) الدنيا المنقضية الزائلة فعل لها و سعى و نسي المبتدأ أو المنتهى:-

آداب و اخلاق في الاسرة و المعاملات 41-23

(عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ)

يعجل له من حطامها و متاعها ما يشاؤه و يريده مما كتب الله له في اللوح المحفوظ و لكنه متاع غير نافع و لا دائم له.

ثم يجعل له في الآخرة (جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا) أى: يباشر عذابها

(مَذْمُومًا) عَلَى سُوءِ تَصَرُّفِهِ وَ صَنِيعِهِ إِذِ اخْتَارَ الْفَاقِيَ عَلَى الْبَاقِي

\* في حالة الخزي و الفضيحة و الدم من الله و من خلقه

(مَدْحُورًا) مبتعد عن رحمة الله فيجمع له بين العذاب و الفضيحة 18

(وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ) فرضيها و آثرها على الدنيا

(وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا) الذى دعت إليه الكتب السماوية و الآثار النبوية فعمل بذلك على قدر إمكانه

(وَهُوَ) وَقَلْبُهُ (مُؤْمِنٌ) مُصَدِّقٌ بِالثَّوَابِ وَ الْجَزَاءِ وَ بِاللَّهِ وَ مَلَائِكَتِهِ وَ كِتَابِهِ وَ رِسَلِهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ

(فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا) أى: مقبولا منمى مدخرا لهم أجرهم و ثوابهم عند ربهم 19

( **كَلَّا نُمَدِّ هَتُولَاءَ وَهَتُولَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ** )

و مع هذا فلا يفوتهم نصيبهم من الدنيا فكلا يمدده الله منها لأنه عطاؤه و إحسانه.

( **وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا** ) ممنوعا من أحد بل جميع الخلق راتعون بفضله و إحسانه **20**

( **أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ** )

فى الدنيا بسعة الأرزاق و قلتها و اليسر و العسر و العلم و الجهل و العقل و السفه

و غير ذلك من الأمور التى فضل الله العباد بعضهم على بعض بها.

( **وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا** ) فلا نسبة لنعيم الدنيا و لذاتها إلى الآخرة بوجه من الوجوه.

فكم بين من هو فى الغرف العاليات و اللذات المتنوعات و السرور و الخيرات و الأفراح ممن هو يتقلب فى الجحيم و يُعَذَّبُ بالعذاب الأليم و قد حل عليه سخط الرب الرحيم و كل من الدارين بين أهلها من التفاوت ما لا يمكن أحدا عده.

\*البخارى 3256 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ:-

قَالَ:- «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ (يرون وينظرون ويتكلمون لذلك) أَهْلَ الْغُرَفِ (أصحاب المنازل العالية والغرف جمع غرفة وهى العلية) مِنْ فَوْقِهِمْ

كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدَّرِّيَّ الْغَائِرَ (الذاهب أو الباقي بعد انتشار ضوء الفجر) فِي الْأَفْقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ

لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ» (بعد منازل أهل الغرف وعلو درجاتهم عن باقي أهل الجنة)

قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ قَالَ:-

«بَلَى وَ الَّذِى نَفْسِ بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ صَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ» **21**

( **لَا تَجْعَلْ** ) تعتقد أن ( **مَعَ اللَّهِ** ) من المخلوقين ( **إِلَهَاءَ آخَرَ** ) يستحق شيئا من العبادة و لا تشرك بالله أحدا منهم

( **فَنَقَعَدَ مَذْمُومًا** ) فإن ذلك داع للذم و الخذلان فالله و ملائكته و رسله قد نهوا عن الشرك و ذموا من عمله أشد

الذم و رتبوا عليه من الأسماء المذمومة و الأوصاف المقبوحة ما كان به متعاطيه أشنع الخلق وصفا و أقبحهم

نعتا و له من الخذلان فى أمر دينه و دنياه بحسب ما تركه من التعلق بربه

( **مَخْذُولًا** ) فمن تعلق بغيره فهو مخذول قد وكل إلى من تعلق به و لا أحد من الخلق ينفع أحدا إلا بإذن الله

كما أن من جعل مع الله إلها آخر له الذم و الخذلان فمن وحده و أخلص دينه لله و تعلق به دون غيره

فإنه محمود معان فى جميع أحواله.

\*لِأَنَّ الرَّبَّ تَعَالَى لَا يَنْصُرُكَ بَلْ يَكِلُكَ إِلَى الَّذِى عِبَدْتَ مَعَهُ وَ هُوَ لَا يَمْلِكُ لَكَ ضَرًّا وَ لَا نَفْعًا لِأَنَّ مَالِكَ الضَّرِّ

و النفع هو الله وحده **(٢٢)**

\*لما نهى تعالى عن الشرك به أمر بالتوحيد فقال:-

( **وَقَضَىٰ رَبُّكَ** ) قضاء دينيًّا و أمر أمرا شرعيًّا

(رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا) أحدا من أهل الأرض و السماوات الأحياء و الأموات.

(إِلَّا إِيَّاهُ) لأنه الواحد الأحد الفرد الصمد الذى له كل صفة كمال و له من تلك الصفة أعظمها على وجه لا يشبهه أحد من خلقه و هو المنعم بالنعم الظاهرة و الباطنة الدافع لجميع النقم الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور فهو المتفرد بذلك كله و غيره ليس له من ذلك شىء.

\*ثم ذكر بعد حقه القيام بحق الوالدين فقال:-

(وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) أى: أحسنوا إليهما بجميع وجوه الإحسان القولى و الفعلى لأنهما سبب وجود العبد و لهما من المحبة للولد و الإحسان إليه و القرب ما يقتضى تأكيد الحق و وجوب البر.

\*كَمَا قَالَ {أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} [ثُمَّانَ: 14]

(إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا)

أى: إذا وصلا إلى هذا السن الذى تضعف فيه قواهما و يحتاجان من اللطف و الإحسان ما هو معروف.

(فَلَا تَقُلْ لَّهُمَا أُنْفَى) و هذا أدنى مراتب الأذى نبه به على ما سواه و المعنى لا تؤذهما أدنى أذية.

(وَلَا تَنْهَرُهُمَا) أى: تترجرهما و تتكلم لهما كلاما خشنا

(وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا)

بلفظ يحبانه و تأدب و تلتطف بكلام لين حسن يلذ على قلوبهما و تطمئن به نفوسهما و ذلك يختلف باختلاف الأحوال و العوائد و الأزمان ﴿٣٣﴾

(وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ)

أى: تواضع لهما ذلا لهما و رحمة و احتسابا للأجر لا لأجل الخوف منهما أو الرجاء لما لهما و نحو ذلك من المقاصد التي لا يؤجر عليها العبد.

\*تذلل لهما و تواضع. و فيه استعارة مكنية و تخيلية:-

فشبه الذل بطائر تشبيها مضمرا و أثبت له الجناح تخيلا و خفض ترشيحا.

و (خفضه) ما يفعله إذا ضم أفراده للتربية. أو استعارة تصريرية فى المفرد و هو الجناح و خفض ترشيح. و (الجناح) الجانب كما يقال (جناحا العسكر) و خفضه مجاز.

كما يقال (لَيْنَ الجانب) و (منخفض الجانب)

و إضافة الجناح إلى الذل للبيان. لأن صفة ميّنة. أى جناحك الذليل.

و فيه مبالغة لأنه وصف بالمصدر فكأنه جعل الجناح عين الذل.

أو التركيب استعارة تمثيلية فيكون مثلا لغاية التواضع.

و سر ذكر الجناح و خفضه تصوير الذل كأنه مشاهد محسوس

و مِنْ من قوله تعالى:- (مِنَ الرَّحْمَةِ) ابتدائية على سبيل التعليل.

أى من فرط رحمتك لهماو عطفك عليهما لكبرهما و افتقارهما اليوم إلى من كان أفقر خلق الله إليهما بالأمس.و افتقار المرء إلى من كان مفتقرا له غاية في الضراعة و المسكنة. فيرحمه أشد رحمة.

(وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا) أى: ادع لهما بالرحمة أحياء و أمواتا

(كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) جزاء على تربيتهما إياك صغيرا.

و فهم من هذا أنه كلما ازدادت التربية ازداد الحق و كذلك من تولى تربية الإنسان في دينه و دنياه تربية صالحة غير الأبوين فإن له على من رباه حق التربية.

\*مسلم (2551) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم:- قَالَ:-

«رَغِمَ (معناه ذل وقيل كره وخزي وهو بفتح الغين وكسرها وأصله لصق أنفه بالرغام وهو تراب مختلط برمل وهو الرغام بضم الراء وفتحها وكسرها وقيل الرغام كل ما أصاب

الأنف يؤذيه) أَنْفٌ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ» قِيلَ: مَنْ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ»  
\*الترمذى 1897 - عن بهز بن حكيم قال: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَبْرُ؟ قَالَ: أُمِّكَ قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: أُمِّكَ قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أَبَاكَ ثُمَّ الْأَقْرَبَ فَأَلْقَرَبَ.

\*النسائى 2532 - عَنْ طَارِقِ الْمُحَارِبِيِّ قَالَ:-

قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ يَخْطُبُ النَّاسَ وَهُوَ يَقُولُ:- يَدُ الْمُعْطَى الْعُلْيَا وَابْدَأْ مِنْ تَعُولٍ: أُمِّكَ وَ أَبَاكَ وَ أَخْتَكَ وَ أَخَاكَ ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ" (٢٤)

(رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ) أى: ربكم تعالى مطلع على ما أكنته سرائركم من خير و شر و هو لا ينظر إلى أعمالكم و أبدانكم و إنما ينظر إلى قلوبكم و ما فيها من الخير و الشر.

(إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ) بأن تكون إرادتكم و مقاصدكم دائرة على مرضاة الله و رغبتكم فيما يقربكم إليه و ليس فى قلوبكم إرادات مستقرة لغير الله.

(فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ) للرجاعين إليه فى جميع الأوقات

(غَفُورًا) فمن اطلع الله على قلبه و علم أنه ليس فيه إلا الإنابة إليه و محبته و محبة ما يقرب إليه فإنه و إن جرى منه فى بعض الأوقات ما هو مقتضى الطباع البشرية فإن الله يعفو عنه و يغفر له الأمور العارضة غير المستقرة (٢٥)

(وَأَتَى ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ) من البر و الإكرام الواجب و المسنون و ذلك الحق يتفاوت بتفاوت الأحوال و الأقارب و الحاجة و عدمها و الأزمنة.

\*البخارى 2067 عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:-

«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ (يوسع) لَهُ فِي رِزْقِهِ أَوْ يُنْسَأَ (يؤخر) لَهُ فِي أَثَرِهِ (بقية عمره) فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ (فليبر بأقاربه)»

(وَالْمَسْكِينِ) آتاه حقه من الزكاة و من غيرها لتزول مسكنته

(وَأَبْنِ السَّيْلِ) وهو الغريب المنقطع به عن بلده

(وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا) لَمَّا أَمَرَ بِالْإِنْفَاقِ نَهَى عَنِ الْإِسْرَافِ فِيهِ بَلْ يَكُونُ وَسْطًا كَمَا قَالَ:-

{وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا} [الفرقان: 67] .

\* فيعطى الجميع من المال على وجه لا يضر المعطى و لا يكون زائدا على المقدار اللائق

\* وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ:- التَّبْذِيرُ:-الْإِنْفَاقُ فِي غَيْرِ حَقٍّ ﴿٦٦﴾

فإن ذلك تبذير قد نهى الله عنه و أخبر:-

(إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ) لأن الشيطان لا يدعو إلا إلى كل خصلة ذميمة فيدعو الإنسان إلى البخل

و الإمساك فإذا عصاه دعاه إلى الإسراف و التبذير .

و الله تعالى إنما يأمر بأعدل الأمور و أقسطها و يمدح عليه كما في قوله عن عباد الرحمن الأبرار

{ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا } [الفرقان: 67] و قال هنا:- {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا

تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا} [الإسراء: 29] كناية عن شدة الإمساك و البخل

(وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ) فتنفق فيما لا ينبغي أو زيادة على ما ينبغي .

(فَتَقْعُدَ) إن فعلت ذلك

(مَلُومًا) أى:- تلام على ما فعلت

(مَحْسُورًا) أى:- حاسر اليد فارغها فلا بقى ما فى يدك من المال و لا خلفه مدح و ثناء .

و هذا الأمر بإيتاء ذى القربى مع القدرة و الغنى

\* فِي التَّبْذِيرِ وَ السَّفْهِ وَ تَرْكِ طَاعَةِ اللَّهِ وَ ارْتِكَابِ مَعْصِيَتِهِ وَ لِهَذَا قَالَ:-

(وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) جُحُودًا

لأنَّه أَنْكَرَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَ لَمْ يَعْمَلْ بِطَاعَتِهِ بَلْ أَقْبَلَ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ وَ مُخَالَفَتِهِ ﴿٦٧﴾

\* فأما مع العدم أو تعسر النفقة الحاضرة فأمر تعالى أن يردوا ردا جميلا فقال:-

وَأَمَّا نُرْضِئَنَّهُمْ آيَاتِنَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا يَكُنْ نَزْفُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا أَلْكَيْلَ إِذَا كَلَّمْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

فأما مع العدم أو تعسر النفقة الحاضرة فأمر تعالى أن يردوا ردا جميلا فقال:

(وَأَمَّا نُرْضِئَنَّهُمْ آيَاتِنَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا) تعرض عن إعطائهم إلى وقت آخر ترجو فيه من الله تيسير الأمر.  
(فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا) بالوعد \_أى:- لطيفا برفق و وعد بالجميل عند سئوح الفرصة و اعتذار بعدم الإمكان في الوقت الحاضر لينقلبوا عنك مطمئنة خواطرهم كما قال {قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى} [البقرة: 263]  
\* و هذا أيضا من لطف الله تعالى بالعباد أمرهم بانتظار الرحمة و الرزق منه لأن انتظار ذلك عبادة  
\* و كذلك وعدهم بالصدقة و المعروف عند التيسر عبادة حاضرة لأن الهم بفعل الحسنة حسنة  
\* و لهذا ينبغي للإنسان أن يفعل ما يقدر عليه من الخير و ينوى فعل ما لم يقدر عليه ليشاب على ذلك  
و لعل الله ييسر له بسبب رجائه ﴿٢٨﴾

(وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ) لَا تَكُنْ بِخِيَلًا مَّنُوعًا لَا تُعْطِي أَحَدًا شَيْئًا كَمَا قَالَتِ الْيَهُودُ عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللَّهِ: (يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ) [المائدة: 64] أَيْ نَسَبُوهُ إِلَى الْبُخْلِ تَعَالَى وَ تَقَدَّسَ الْكَرِيمُ الْوَهَّابُ.  
(وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ) وَ لَا تُسْرِفْ فِي الْإِنْفَاقِ فَتُعْطَى فَوْق طَاقَتِكَ وَ تُخْرِجَ أَكْثَرَ مِمَّنْ دَخَلَكَ (فَلَقَعْدُ مَلُومًا) وَ هَذَا مِنْ بَابِ اللَّفِّ وَ النَّشْرِ أَيْ:-

فَتَقْعُدَ إِنْ بَخِلْتَ مَلُومًا يَلُومُكَ النَّاسُ وَ يَذْمُونَكَ وَ يَسْتَغْنُونَ عَنْكَ كَمَا قَالَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلمَى فِي الْمُعَلَّقَةِ:- وَ مَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَ يَبْخُلُ بِمَالِهِ... عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَغْنَى عَنْهُ وَ يَذْمَمُ



(تَحْسُرًا) نادماً على تذكيرك و ضياع مالك

\* وَ مَتَى بَسَطْتَ يَدَكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ قَعَدْتَ بِلَا شَيْءٍ تُنْفِقُهُ فَتَكُونُ كَالْحَسِيرِ وَ هُوَ:-

الدَّابَّةُ الَّتِي قَدْ عَجَزَتْ عَنِ السَّيْرِ فَوَقَفَتْ ضَعْفًا وَ عَجْزًا فَإِنَّهَا تُسَمَّى الْحَسِيرَ

\* البخارى 5352- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ قَالَ اللَّهُ:- أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ عَلَيْكَ

\* البخارى 1442- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:-

"مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا:- اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا وَ يَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا "

\* مسلم (2588) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ:-

«مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَ مَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا وَ مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ» ( )

\* أحمد 26912- عَنْ أَسْمَاءَ قَالَتْ:- قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: لَيْسَ لِي إِلَّا مَا أَدْخَلَ الزُّبَيْرُ بَيْتِي؟

قَالَ:- "أَنْفِقِي وَ لَا تُوَكِّي فَيُوكِّي عَلَيْكَ" (٢٩)

( إِنْ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ) من عبادته (وَيَقْدِرُ) يضيقه على من يشاء حكمة منه

(إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا) فيجزئهم على ما يعلمه صالحا لهم و يدبرهم بلطفه و كرمه.

\* خَبِيرٌ بَصِيرٌ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ الْغِنَى وَ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْفَقْرَ وَ قَدْ يَكُونُ الْغِنَى فِي حَقِّ بَعْضِ النَّاسِ اسْتِدْرَاجًا

وَ الْفَقْرُ عُقُوبَةٌ عِيَاذًا بِاللَّهِ مِنْ هَذَا وَ هَذَا (٣٠)

( وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ ) و هذا من رحمته بعباده حيث كان أرحم بهم من والديهم فنهى الوالدين أن يقتلوا أولادهم

(خَشْيَةً) خوفا من (إِمْلَأْنِي) فقرر (نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ) فالله تكفل برزق الجميع.

(إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا) أى: من أعظم كبائر الذنوب لزوال الرحمة من القلب و العقوق العظيم و التجرؤ

على قتل الأطفال الذين لم يجز منهم ذنب و لا معصية (٣١)

( وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى ) و النهى عن قربانه أبلغ من النهى عن مجرد فعله لأن ذلك يشمل النهى عن جميع مقدماته

و دواعيه فإن: « من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه »

(ما نقصت صدقة من مال) ذكروا فيه وجهين أحدهما معناه أنه يبارك فيه

و يدفع عنه المضرات فينجبر نقص الصورة بالبركة الخفية و هذا مدرك بالحس والعادة

و الثاني أنه وإن نقصت صورته كان في الثواب المرتب عليه جبر لنقصه وزيادة إلى أضعاف كثيرة (وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا) فيه

أيضا وجهان أحدهما على ظاهره ومن عرف بالعفو والصفح ساد وعظم في القلوب وزاد عزه وإكرامه والثاني أن المراد أجره في الآخرة


وعزه هناك (وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله) فيه أيضا وجهان أحدهما يرفعه في الدنيا ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة ويرفعه

الله عند الناس ويجل مكانه و الثاني أن المراد ثوابه في الآخرة ورفعها فيها بتواضعه في الدنيا قال العلماء وهذه الأوجه في الألفاظ الثلاثة

موجودة في العادة معروفة وقد يكون المراد الوجهين معا في ميعها في الدنيا والآخرة]

خصوصا هذا الأمر الذى فى كثير من النفوس أقوى داع إليه.

\* و وصف الله الزنا و قبحه **(إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً)** إنما يستفحش فى الشرع و العقل و الفطر لتضمنه التجرى على الحرمة فى حق الله و حق المرأة و حق أهلها أو زوجها و إفساد الفراش و اختلاط الأنساب و غير ذلك من المفاسد.

**(وَسَاءَ) بئس (سَيِّئًا)** سبيل من تجرأ على هذا الذنب العظيم 

**(وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ)** هذا شامل لكل نفس

**(أَلَمْ يَحَرِّمَ اللَّهُ)** قتلها من صغير و كبير و ذكر و أنثى و حر و عبد و مسلم و كافر له عهد.

**(إِلَّا بِالْحَقِّ)**

كالنفس بالنفس و الزانى المحصن و التارك لدينه المفارق للجماعة و الباغى فى حال بغيه إذا لم يندفع إلا بالقتل

**(وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا)** بغير حق **(فَقَدْ جَعَلْنَا لُولِيهِ)** و هو أقرب عصباته و ورثته إليه

**(سُلْطَنًا)** حجة ظاهرة على القصاص من القاتل و جعلنا له أيضا تسلطا قدريا على ذلك

و ذلك حين تجتمع الشروط الموجبة للقصاص كالعمد العدوان و المكافأة.

\* سُلْطَةٌ عَلَى الْقَاتِلِ فَإِنَّهُ بِالْخِيَارِ فِيهِ إِنْ شَاءَ قَتَلَهُ قَوْدًا وَ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ عَلَى الدِّيَةِ وَ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ مَجَانًّا كَمَا ثَبَتَتِ السُّنَّةُ بِذَلِكَ.

**(فَلَا يُسْرِفُ)** الولي **(فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا)** عَلَى الْقَاتِلِ شَرْعًا وَ غَالِبًا قَدْرًا.

و الإسراف:- مجاوزة الحد إما أن يمثل بالقاتل أو يقتله بغير ما قتل به أو يقتل غير القاتل.


و فى هذه الآية:-

1- دليل إلى أن الحق فى القتل للولى فلا يقتص إلا بإذنه و إن عفا سقط القصاص.

2- و أن ولى المقتول يعينه الله على القاتل و من أعانه حتى يتمكن من قتله.

\* ابن ماجه 2534 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

" لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا أَحَدُ ثَلَاثَةٍ نَفَرٍ:-

النَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَ النَّيْبُ الزَّانِي (الزانى المحصن) وَ التَّارِكُ لِدِينِهِ (دين الإسلام) الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ (جماعة المسلمين) 

**(وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ)** هذا من لطفه و رحمته تعالى باليتيم الذى فقد والده و هو صغير غير عارف بمصلحة

نفسه و لا قائم بها أن أمر أوليائه بحفظه و حفظ ماله و إصلاحه و أن لا يقربوه

**(إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)** من التجارة فيه و عدم تعريضه للأخطار و الحرص على تنميته

(حَقٌّ) و ذلك ممتد إلى أن (يَبْلُغَ) اليتيم

(أَشَدُّهُ) أى: بلوغه و عقله و رشده فإذا بلغ أشده زالت عنه الولاية و صار ولى نفسه و دفع إليه ماله.

كما قال { فَإِنْ آتَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ } [النساء: 6]

(وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ) الذى عاهدتم الله عليه و الذى عاهدتم الخلق عليه.

(إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا) عن الوفاء به و عدمه فإن وفيتم فلكم الثواب الجزيل و إن لم تفوا فعليكم الإثم (٣٤)

(وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ) وزنتم (وَزِنُوا بِالْقِسْطِ) بالميزان (الْمُسْتَقِيمِ) السوى

و هذا أمر بالعدل و إيفاء المكييل و الموازين بالقسط من غير بخس و لا نقص.

و يؤخذ من عموم المعنى:-

النهى عن كل غش فى ثمن أو مثنى أو معقود عليه و الأمر بالنصح و الصدق فى المعاملة.

(ذَلِكَ خَيْرٌ) من عدمه لكم فى معاشكم و معادكم

(وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) عاقبة به يسلم العبد من التبعات و به تنزل البركة (٣٥)

(وَلَا تَقْفُ) تتبع (مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) بل ثبت فى كل ما تقوله و تفعله فلا تظن ذلك يذهب لا لك و لا عليك

\* البخارى 6066 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَ الظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ

\* البخارى 7043- عَنْ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَفْرَى الْفِرَى (أشد الكذب وأكذب الكذبات والفري جمع الفرية

وهي الكذبة الفادحة التي يتعجب منها) أَنْ يُرَى عَيْنِيهِ (يدعى أنه رأى رؤيا و هو لم ير شيئا) مَا لَمْ تَرَ»

\* البخارى 7042- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:-

«مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُفًّا أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ وَ لَنْ يَفْعَلَ

(إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا)

فحقيق بالعبد الذى يعرف أنه مسئول عما قاله و فعله و عما استعمل به جوارحه التى خلقها الله لعبادته أن يعد

للسؤال جوابا و ذلك لا يكون إلا باستعمالها بعبودية الله و إخلاص الدين له و كفها عما يكرهه الله تعالى (٣٦)

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾

غالباً ما أستشعرُ في حياتي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ (١)،

فتطبَّعتُ بها و صار معناها جزءاً مني، حتى أصبح البعض لا يتهيب من استشارتي

الإسراء: ٣٦

في بعض الأمور الدقيقة في حياته لعلهم اليقين بأنى لن أتطلع لمعرفة ما حجبه عني

بإرادته مما لا يفيد في تقديم المشورة، فوجدت في ذلك تربيةً لنفسي على قوة الإرادة،

وراحة لها عن أن تشغل بها لا يعينها!!

(وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا) كبرا و تيتها و بطرا متكبرا على الحق و متعازما على الخلق.

(إِنَّكَ) فى فعلك ذلك (لَنْ تَخْرِقَ) (تَقْطَعَ) (الْأَرْضَ) (مِشْيَتِكَ)

(وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا) فى تكبرك بل تكون حقيرا عند الله و محتقرا عند الخلق مبعوضا ممقوتا قد اكتسبت أشر الأخلاق و اكتسبت أرذلها من غير إدراك لبعض ما تروم.

\*البخارى 5789 عن أبي هريرة رضي الله عنه يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«بَيْنَمَا رَجُلٌ (من الأمم السابقة) يَمْشِي فِي حُلَّةٍ (توبان من نوع واحد) تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ (ينظر إليها بعين الكمال وينسى نعمة الله تعالى عليه محتقرا لما سواه من الناس) مُرَجَّلٌ جُمَّتَهُ (مسرحة رأسه والجممة هي الشعر الذي يتدلى إلى الكتفين) إِذْ حَسَفَ اللَّهُ بِهِ (غارت به الأرض وغيبه الله فيها) فَهُوَ

يَتَجَلَّجَلُ (يتحرك وينزل مضطربا وفي رواية (يتجلجل) تغطيه الأرض) إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» (٢٧)

(كُلُّ ذَلِكَ) المذكور الذى نهى الله عنه فيما تقدم من قوله:- (وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) و النهى عن عقوق الوالدين و ما عطف على ذلك

(كَانَ سَيِّئًا) قَبِيحُهُ (عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا) أى: كل ذلك يسوء العاملين و يضرهم و الله تعالى يكرهه و يأباه (٢٨)

### الاعجاز العلمى فى :- (إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ)

إذا كان المقصود من هذه الآيات الكريمة إشعار كل من الجن والإنس بعجزهما عن النفاذ من أقطار كل من الأرض علي حدة والسموات علي حدة فإن المعارف الحديثة تؤكد ذلك لأن أقطار الأرض تتراوح بين (12756 كيلو مترا بالنسبة إلى متوسط قطرها الاستوائى (12713 كيلو مترا بالنسبة إلى متوسط قطرها القطبى و ذلك لأن الأرض ليست تامة الاستدارة لانبعاجها قليلا عند خط الاستواء و تفلطحها قليلا عند القطبين. و يستحيل علي الإنسان اختراق الأرض من أقطارها لارتفاع كل من الضغط و الحرارة باستمرار فى اتجاه المركز مما لا تطيقه القدرة البشرية و لا التقنيات المتقدمة التى حققها إنسان هذا العصر. فعلى الرغم من التطور المذهل فى تقنيات حفر الآبار العميقة التى طورها الإنسان بحثا عن النفط و الغاز الطبيعى فإن هذه الأجهزة العملاقة لم تستطع حتى اليوم تجاوز عمق 14 كيلو مترا من الغلاف الصخرى للأرض و هذا يمثل 0,2% تقريبا من طول نصف قطر الأرض الاستوائى و عند هذا العمق تعجز أدوات الحفر عن الاستمرار فى عملها لتزايد الضغط و للارتفاع الكبير فى درجات الحرارة إلى درجة قد تؤدى إلى صهر تلك الأدوات

فمن الثابت علميا أن درجة الحرارة تزداد باستمرار من سطح الأرض فى اتجاه مركزها حتى تصل إلى ما يقرب من درجة حرارة سطح الشمس المقدرة بستة آلاف درجة مئوية حسب بعض التقديرات و من هنا كان عجز الإنسان عن الوصول إلى تلك المناطق الفائقة الحرارة والضغط و فى ذلك يقول الحق - تبارك وتعالى - مخاطبا الإنسان:- (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا)

(أَفَأَصْفَنكُمْ رَبُّكُم بِالْبَيْنِ) أى: اختار لكم الصفوة و القسم الكامل

(وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا) واتخذ لنفسه من الملائكة إناثا حيث زعموا أن الملائكة بنات الله.

(إِنكُمْ لَنَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا) فيه أعظم الجرأة على الله حيث:-

1-نسبتم له الولد المتضمن لحاجته و استغناء بعض المخلوقات عنه

2-و حكمتهم له بأردأ القسمين و هن الإناث و هو الذى خلقكم و اصطفاكم بالذكر فتعالى الله عما يقول

الظالمون علوا كبيرا ﴿٤٠﴾

(وَلَقَدْ صَرَّفْنَا) نَوَّعْنَا

(فِي هَذَا الْقُرْآنِ) من الأحكام و وضحناها و أكثرنا من الأدلة و البراهين على ما دعا إليه و وعظ و ذكر

(لِيَذْكُرُوا) لأجل أن يتذكروا ما ينفعهم فيسلكوه و ما يضرهم فيدعوه.

(وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا) عَنِ الْحَقِّ وَ بُعْدًا مِنْهُ لِبَغْضِهِمْ لِلْحَقِّ وَ مُحِبَّتِهِمْ حَتَّى تَعْصِبُوا لِبَاطِلِهِمْ وَ لَمْ يَعْبُرُوا آيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ سَمْعًا وَ لَا أَلْقَوْا لَهَا بَالًا.

\* و من أعظم ما صرف فيه الآيات و الأدلة التوحيد الذى هو أصل الأصول فأمر به و نهى عن ضده و أقام عليه

من الحجج العقلية و النقلية شيئا كثيرا بحيث من أصغى إلى بعضها لا تدع فى قلبه شكاً و لا ريباً ﴿٤١﴾

\* و من الأدلة على ذلك هذا الدليل العقلى الذى ذكره هنا فقال:-

(قُلْ) للمشركين الذين يجعلون مع الله إلها آخر:-

(قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ) على موجب زعمهم و افتراءهم

(إِذَا لَا بُتَغَوْا) لاتخذوا (إِلَى ذِي الْعَرْشِ) أى:- الله (سَبِيلًا)

ب:- 1-عبادته 2-و الإنابة إليه 3-و التقرب 4-و ابتغاء الوسيلة

فكيف يجعل العبد الفقير الذى يرى شدة افتقاره لعبودية ربه إلها مع الله؟!

هل هذا إلا من أظلم الظلم و أسفه السفه؟ فعلى هذا المعنى تكون هذه الآية كقوله تعالى:

(أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ)

و كقوله تعالى: (وَيَوْمَ يُخْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ) قَالُوا

سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ)

\* و يحتمل أن المعنى في قوله:- (قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا بُتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا)

أى: لطلبوا السبيل و سعوا في مغالبة الله تعالى فيما أن يعلوا عليه فيكون من علا و قهر هو الرب الإله

فأما و قد علموا أنهم يقرون أن آلهتهم التي يعبدون من دون الله مقهورة مغلوبة ليس لها من الأمر شيء فلم

اتخذوها و هي بهذه الحال؟

الرد على المشركين و دليل وحدانية الله 42-60



فيكون هذا كقوله {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ} [المؤمنون: 91] ﴿٤٢﴾

(سُبْحَنَهُ) تقدس و تنزه (وَتَعَالَى) و علت أوصافه (عَمَّا يَقُولُونَ) من الشرك به و اتخاذ الأنداد معه

(عُلُوًّا كَبِيرًا) فعلا قدره و عظم و جلت كبرياؤه التي لا تقادر أن يكون معه آلهة فقد ضل من قال ذلك ضلالا مبينا و ظلم ظلما كبيرا.

لقد تضاءلت لعظمته المخلوقات العظيمة و صغرت لدى كبريائه السماوات السبع و من فيهن و الأرضون السبع و من فيهن (وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ)

و افتقر إليه العالم العلوى و السفلى فقرا ذاتيا لا ينفك عن أحد منهم في وقت من الأوقات.

هذا الفقر بجميع وجوهه فقر من جهة:-

1- الخلق و الرزق و التدبير

2- و فقر من جهة الاضطرار إلى أن يكون معبودهم و محبوبهم الذي إليه يتقربون و إليه فى كل حال

يفزعون ﴿٤٣﴾

و لهذا قال:- (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ)

من حيوان ناطق و غير ناطق و من أشجار و نبات و جامد و حي و ميت

(إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) بلسان الحال و لسان المقال.

(وَلَكِنْ لَا نفقهون تَسْبِيحَهُمْ) تسبيح باقى المخلوقات التي على غير لغتكم بل يحيط بها علام الغيوب.

\*البخارى 3579 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:-

كُنَّا نَعُدُّ الْآيَاتِ (المعجزات و هى الأمور الخارقة للعادة) بَرَكَةً (فضلا و تكرا من الله و البركة النماء و الزيادة)

وَ أَنْتُمْ تَعُدُّونَهَا تَخْوِيفًا (لأجل التخويف)

كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ (قيل فى الحديبية و قيل فى خير) فَقَالَ الْمَاءُ فَقَالَ:-

«اطْلُبُوا فَضْلَهُ مِنْ مَاءٍ» (ابحثوا عن شىء من ماء بقى لدى واحد منكم)

فَجَاءُوا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ قَلِيلٌ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ ثُمَّ قَالَ: «حَيَّ عَلَى الطَّهُّورِ» (تعالوا وتطهروا بالماء) الْمُبَارَكِ

(الذى نما وزاد بفضل الله تعالى فيه خير و نور) وَالْبَرَكَةُ مِنَ اللَّهِ «فَلَقَدْ رَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

وَ لَقَدْ كُنَّا (على عهد رسول الله ﷺ) نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَ هُوَ يُؤْكَلُ

\* وَ قَالَ عِكْرِمَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ} قَالَ: الْأُسْطُوَانَةُ تُسَبِّحُ وَ الشَّجَرَةُ تُسَبِّحُ - الْأُسْطُوَانَةُ: السَّارِيَّةُ. وَ يَشْهَدُ لِهَذَا الْقَوْلِ آيَةُ السَّجْدَةِ أَوَّلُ سُورَةِ الْحَجِّ.

(إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) حيث لم يعاجل بالعقوبة من قال فيه قولاً تكاد السماوات و الأرض تتفطر منه و تخر له

الجبال و لكنه أمهلهم و أنعم عليهم و عافاهم و رزقهم ودعاهم إلى بابه ليتوبوا من هذا الذنب العظيم ليعطيهم الثواب الجزيل و يغفر لهم ذنبهم فلولا حلمه و مغفرته لسقطت السماوات على الأرض و لما ترك على ظهرها

من دابة.

\*البخارى 4686 - عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«إِنَّ اللَّهَ لَيَمْلِكُ (يُمِلُّ) لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ (لم يخلصه و لم يتركه حتى يستوفي عقابه)»

قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} [هود: 102]

(و كذلك) أى كما ذكر من إهلاك الأمم و أخذهم بالعذاب. (أخذ ربك) إهلاكه وعذابه. (أخذ القرى) أخذ أهلها

\*و قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَكَايْنٍ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ} [الحج: 48]

وَمَنْ أَقْلَعَ عَمَّا هُوَ فِيهِ مِنْ كُفْرٍ أَوْ عِصْيَانٍ وَ رَجَعَ إِلَى اللَّهِ وَ تَابَ إِلَيْهِ تَابَ عَلَيْهِ كَمَا قَالَ:-

{وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا} [النساء: 110] .

و قال هاهنا (إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا)

كَمَا قَالَ فِي آخِرِ قَاطِرٍ: {إِنَّ اللَّهَ يُنْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أُمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا

غَفُورًا} إِلَى أَنْ قَالَ: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ

أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا} [قاطر: 41- 45] ﴿٤٤﴾

\*يخبر تعالى عن عقوبته للمكذبين بالحق الذين ردوه و أعرضوا عنه أنه يحول بينهم و بين الإيمان فقال:-

{وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ} الذى فيه الوعظ و التذكير و الهدى و الإيمان و الخير و العلم الكثير .

{جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا} مَعْنَى سَاتِرٍ كَمَيِّمُونَ وَ مَشْتُومٍ مَعْنَى:-

يَأْمِنُ وَ شَائِمٍ لِأَنَّهُ مِنْ يَمْنَهُمْ وَ شَأْمَهُمْ.

\*يسترهم عن فهمه حقيقة و عن التحقق بحقائقه و الانقياد إلى ما يدعو إليه من الخير ﴿٤٥﴾

{وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً} جَمْعُ "كِنَانٍ" الَّتِي يَغْشَى الْقَلْبَ

{أَنْ} لِنَلَّا {يَفْقَهُوهُ} {يَفْهَمُوا الْقُرْآنَ}

\*أغطية و أغشية لا يفقهون معها القرآن بل يسمعوناه سماعا تقوم به عليهم الحجة

\*كَمَا قَالَ {وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ} [فصلت: 5]

{وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ} صمما عن سماعه وَ هُوَ الثَّقُلُ الَّذِي يَمْنَعُهُمْ مِنْ سَمَاعِ الْقُرْآنِ سَمَاعًا يَنْفَعُهُمْ وَ يَهْتَدُونَ بِهِ.

{وَإِذَا ذُكِّرَتْ رَبِّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ} داعيا لتوحيده ناهيا عن الشرك به.

{وَلَوْ} أَذْبَرُوا رَاجِعِينَ

{عَلَى أَدْبَرِهِمْ نُفُورًا} نُفُورٌ: جَمْعُ نَافِرٍ كَقُعُودٍ جَمْعُ قَاعِدٍ وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرًا مِنْ غَيْرِ الْفِعْلِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

\*من شدة بغضهم له و محبتهم لما هم عليه من الباطل كما قال

{وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} [الزمر: 45] ﴿٤٦﴾

{نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ} أى: إنما منعناهم من الانتفاع عند سماع القرآن لأننا نعلم أن مقاصدهم سيئة يريدون

أن يعثروا على أقل شيء ليقدحوا به و ليس استماعهم لأجل الاسترشاد و قبول الحق

و إنما هم متعمدون على عدم اتباعه و من كان بهذه الحالة لم يفده الاستماع شيئاً

و لهذا قال:- (إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى) متناجين

(إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ) فى مناجاتهم:-

(إِنْ تَنْبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا) فإذا كانت هذه مناجاتهم الظالمة فيما بينهم و قد بنوها على أنه مسحور فهم

جازمون أنهم غير معتبرين لما قال و أنه يهذى لا يدرى ما يقول.

\* قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ فِي السَّيَرَةِ:- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ بْنُ شَهَابِ الزُّهْرِيِّ أَنَّهُ حَدَّثَ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ وَ أَبَا جَهْلٍ بْنَ هِشَامٍ وَ الْأَخْنَسَ بْنَ شَرِيْقٍ بْنَ عَمْرِو بْنِ وَهَبٍ الثَّقَفِيُّ حَلِيفَ ابْنِ زُهْرَةَ خَرَجُوا لَيْلَةً لِيَسْتَمِعُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَ هُوَ يُصَلِّي بِاللَّيْلِ فِي بَيْتِهِ فَأَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَجْلِسًا يَسْتَمِعُ فِيهِ وَ كُلٌّ لَا يَعْلَمُ بِمَكَانِ صَاحِبِهِ فَبَاتُوا يَسْتَمِعُونَ لَهُ حَتَّى إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ تَفَرَّقُوا.

حَتَّى إِذَا جَمَعَتْهُمْ الطَّرِيقُ فَتَلَاوَمُوا وَ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ:- لَا تَعُودُوا فَلَوْ رَأَوْكُمْ بَعْضُ سُفْهَانِكُمْ لَأَوْقَعْتُمْ فِي نَفْسِهِ شَيْئًا ثُمَّ انْصَرَفُوا.

حَتَّى إِذَا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الثَّانِيَّةَ عَادَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ إِلَى مَجْلِسِهِ فَبَاتُوا يَسْتَمِعُونَ لَهُ حَتَّى إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ تَفَرَّقُوا حَتَّى إِذَا جَمَعَتْهُمْ الطَّرِيقُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مِثْلَ مَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا.

حَتَّى إِذَا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الثَّالِثَةُ أَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَجْلِسَهُ فَبَاتُوا يَسْتَمِعُونَ لَهُ حَتَّى إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ تَفَرَّقُوا فَجَمَعَهُمُ الطَّرِيقُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ:- لَا نَبْرَحْ حَتَّى نَتَعَاهَدَ لَا نَعُودُ فَتَعَاهَدُوا عَلَى ذَلِكَ ثُمَّ تَفَرَّقُوا.

فَلَمَّا أَصْبَحَ الْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيْقٍ أَخَذَ عَصَاهُ ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ فِي بَيْتِهِ فَقَالَ:- أَخْبِرْنِي يَا أَبَا حَنْظَلَةَ عَنْ رَأْيِكَ فِيْمَا سَمِعْتَ مِنْ مُحَمَّدٍ؟

قَالَ: يَا أَبَا ثَعْلَبَةَ وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ أَشْيَاءَ أَعْرِفُهَا وَ أَعْرِفُ مَا يُرَادُ بِهَا وَ سَمِعْتُ أَشْيَاءَ مَا عَرَفْتُ مَعْنَاهَا وَ لَا مَا يُرَادُ بِهَا. قَالَ الْأَخْنَسُ: وَ أَنَا وَ الَّذِي حَلَفْتُ بِهِ. قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ حَتَّى أَتَى أَبَا جَهْلٍ

فَدَخَلَ عَلَيْهِ بَيْتَهُ فَقَالَ: يَا أَبَا الْحَكَمِ مَا رَأَيْكَ فِيْمَا سَمِعْتَ مِنْ مُحَمَّدٍ؟ قَالَ: مَاذَا سَمِعْتُ؟!

تَنَازَعْنَا نَحْنُ وَ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ الشَّرَفِ:- أَطْعَمُوا فَأَطْعَمْنَا - وَ حَمَلُوا فَحَمَلْنَا وَ أَعْطُوا فَأَعْطَيْنَا حَتَّى إِذَا تَجَائَيْنَا عَلَى الرُّكْبِ وَ كُنَّا كَفَرَسَى رِهَانٍ قَالُوا:- مِمَّنَا نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنَ السَّمَاءِ فَمَتَى نُدْرِكُ هَذِهِ؟

وَ اللَّهُ لَا نُؤْمِنُ بِهِ أَبَدًا وَ لَا نُصَدِّقُهُ. قَالَ: فَقَامَ عَنْهُ الْأَخْنَسُ وَ تَرَكَهُ ﴿٤٧﴾

(انْظُرْ) متعجبا (كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ) التى هى أضل الأمثال و أبعدها عن الصواب

\* مِنْهُمْ مَنْ قَالَ:- "شَاعِرٌ" وَ مِنْهُمْ مَنْ قَالَ: "كَاهِنٌ" وَ مِنْهُمْ مَنْ قَالَ: "مَجْنُونٌ" وَ مِنْهُمْ مَنْ قَالَ: "سَاحِرٌ"

(فَضَلُّوا) فى ذلك أو فصارت سببا لضلالهم لأنهم بنوا عليها أمرهم و المبنى على فاسد أفسد منه.

(فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا) أى: لا يهتدون أى اهتداء فنصيهم الضلال المحض و الظلم الصرف ﴿٤٨﴾

(وَقَالُوا) يخبر تعالى عن قول المنكرين للبعث و تكذيبهم به و استبعادهم بقولهم:-

(أَوَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْنَا) أجسادا بالية تصير فُتَاتًا تُرَابًا غُبَارًا

(أَوَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا) أى:- لا يكون ذلك و هو محال بزعمهم فجعلوا أشد الجهل حيث كذبوا رسل الله

و جحدوا آيات الله و قاسوا قدرة خالق السماوات و الأرض بقدرتهم الضعيفة العاجزة.

فلما رأوا أن هذا ممتنع عليهم لا يقدرّون عليه جعلوا قدرة الله كذلك.

\*فسبحان من جعل خلقا من خلقه يزعمون أنهم أولو العقول و الألباب مثالا في جهل أظهر الأشياء و أجلاها و أوضحها براهين و أعلاها ليرى عباده أنه ما ثم إلا توفيقه و إعانتة أو الهلاك و الضلال.

(رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ)

\*بَعْدَ مَا بَلَّيْنَا وَصِرْنَا عَدَمًا لَا يُذَكَّرُ. كَمَا أَخْبَرَ عَنْهُمْ {يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرِ} 10 أَبَدًا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَّةً 11 قَالُوا تِلْكَ إِذَا كَرَّهْتَ خَاسِرَةٌ {النَّازِعَاتِ} و قَالَ {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ} 7 قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ

وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ {يس} ١٩

.....

﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ٥٠ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ۖ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۚ قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ٥١ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْجُدُ لِأَعْيُنِهِمْ فَتَنْظُرُونَ ۖ وَإِنَّ لَكُمْ فِي أَلْقَافِكُمْ وَلَآئِلًا ۚ قُلْ لَّيْسَ لِي بَأْسٌ بِمَا تَدْعُونَ إِلَيَّ لِأَقُودَ ۖ بَلْ أَتَاكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ۚ فَاعْبُدُوا اللَّهَ ۖ مَا شَاءَ الْحَدِيثُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ٥٢ ۚ قُلْ لِّعِبَادِيَ يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ٥٣ ۚ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۚ إِنَّ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ٥٤ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ۚ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِهِ ۖ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ٥٥ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ٥٦ ۚ وَإِن مِّن قَرِيَةٍ إِلَّا لَنَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ أَلْقِئَكُمْ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ٥٧ ۚ

و لهذا أمر رسوله ﷺ أن يقول لهؤلاء المنكرين للبعث استبعادا:-

( قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ٥٠ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ ) يعظم

( فِي صُدُورِكُمْ ) لتسلموا بذلك على زعمكم من أن تنالكم قدرة الله أو تنفذ فيكم مشيئته فإنكم غير معجزى الله في أي حالة تكونون و على أى وصف تتحولون و ليس لكم فى أنفسكم تدبير فى حالة الحياة و بعد الممات. فدعوا التدبير و التصريف لمن هو على كل شىء قدير و بكل شىء محيط.

( فَسَيَقُولُونَ ) حين تقيم عليهم الحجة فى البعث

( مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ) فكما فطركم و لم تكونوا شيئا مذكورا فإنه سيعيدكم خلقا جديدا

{ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ } [الأنبياء: 104] { وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ } [الرؤم: 27]

( فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ ) يهزونها إنكارا و تعجبا مما قلت. هَذَا هُوَ :- الَّذِي تَفْهَمُهُ الْعَرَبُ مِنْ لُغَاتِهَا

لَأَنَّ الْإِنْغَاصَ :- هُوَ التَّحَرُّكُ مِنْ أَسْفَلٍ إِلَى أَعْلَى أَوْ مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلٍ

( وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ )

أى: متى وقت البعث الذى تزعمه على قولك؟ لا إقرار منهم لأصل البعث بل ذلك سفه منهم و تعجيز.

كَمَا قَالَ { وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } [الملك: 25] وَ قَالَ { يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا } [الشورى: 18]

( متى هو )؟ يندمون غاية الندم عند وروده و يقال لهم: ( هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ )

\* وَ كَمَا قَالَ: { كَانَتْ لَهُمْ يَوْمَ يَرْوَتْهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا } [التازعات: 46]



(قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا) فليس في تعيين وقته فائدة

و إنما الفائدة والمدار على تقريره و الإقرار به و إثباته و إلا فكل ما هو آت فإنه قريب .

\* اخذُوا ذَلِكَ فَإِنَّهُ قَرِيبٌ إِلَيْكُمْ سَيَأْتِيكُمْ لَا مَحَالَةَ فَكُلْ مَا هُوَ آتٍ آتٍ ﴿٥٨﴾

(يَوْمَ يَدْعُوكُمْ) إِذَا أَمَرَكُمْ بِالْخُرُوجِ مِنْهَا فَإِنَّهُ لَا يُخَالَفُ وَلَا يُمَانَعُ لِلْبُعْثِ وَ النُّشُورِ وَ ينفخ في الصور

بَلْ كَمَا قَالَ {وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْجٍ بِالْبَصَرِ} [الْقَمَرِ: 50] {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [النَّحْل: 40]

و قَالَ {فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ} فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ [النَّازِعَاتِ]

أَي: إِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ وَاحِدٌ بِانْتِهَارٍ فَإِذَا النَّاسُ قَدْ خَرَجُوا مِنْ بَاطِنِ الْأَرْضِ إِلَى ظَاهِرِهَا كَمَا قَالَ:-

(يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ) تَقُومُونَ كُلُّكُمْ إِجَابَةً لِأَمْرِهِ وَ طَاعَةً لِإِرَادَتِهِ- تنقادون لأمره و لا تستعصون عليه

(يَحْمَدُوه) أَي: هو المحمود تعالى على فعله و يجزى به العباد إذا جمعهم ليوم التناد.

(وَتُظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا)

من سرعة وقوعه و أن الذي مر عليكم من النعيم كأنه ما كان. فهذا الذي يقول عنه المنكرون ﴿٥٩﴾

\* و من لطفه بعباده حيث أمرهم بأحسن الأخلاق و الأعمال و الأقوال الموجبة للسعادة في الدنيا و الآخرة

فقال:-

(وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) و هذا أمر بكل كلام يقرب إلى الله من:-

قراءة و ذكر و علم و أمر بمعروف و نهى عن منكر و كلام حسن لطيف مع الخلق على اختلاف مراتبهم

و منازلهم

\* و أنه إذا دار الأمر بين أمرين حسنيين:- فإنه يأمر بإيثار أحسنهما إن لم يمكن الجمع بينهما.

\* و القول الحسن داع لكل خلق جميل و عمل صالح فإن من ملك لسانه ملك جميع أمره.

(إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ) يسعى بين العباد بما يفسد عليهم دينهم و دنياهم.

فدواء هذا أن لا يطيعوه في الأقوال غير الحسنة التي يدعوهم إليها و أن يلبثوا فيما بينهم لينقمع الشيطان الذي

ينزع بينهم فإنه عدوهم الحقيقي الذي ينبغي لهم أن يحاربوه فإنه يدعوهم (لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ)

\* فَإِنَّهُ إِذْ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمْ وَ أَخْرَجَ الْكَلَامَ إِلَى الْفِعَالِ وَ وَقَعَ الشَّرُّ وَ الْمُخَاصَمَةُ وَ الْمُقَاتَلَةُ

فَإِنَّ الشَّيْطَانَ عَدُوٌّ لِآدَمَ وَ ذُرِّيَّتِهِ مِنْ حِينِ امْتَنَعَ مِنَ السُّجُودِ لِآدَمَ فَعَدَاوَتُهُ ظَاهِرَةٌ بَيِّنَةٌ

و لِهَذَا نَهَى أَنْ يُشِيرَ الرَّجُلُ إِلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ أَي: قُرْبًا أَصَابَهُ بِهَا.

\* البخاري 7072 - عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:- «لَا يُشِيرُ أَحَدُكُمْ عَلَى أَخِيهِ بِالسَّلَاحِ

فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ (يزين له تحقيق الضربة من نزغ الشيطان وهو الحمل والإغراء على الفساد. وفي رواية (ينزع) أي يرمي بها

و يحقق الضربة) فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ (كناية عن وقوعه في المعصية التي تفضي به إلى دخول النار)»

\* يسرى الأمر كذلك على من يحاول أن يصدّم أخاه بالسيارة مازحا

\* و أما إخوانهم فإنهم و إن نزع الشيطان فيما بينهم و سعى في العداوة فإن الحزم كل الحزم السعى في ضد عدوهم و أن يقيموا أنفسهم الأمانة بالسوء التي يدخل الشيطان من قبلها فبذلك يطيعون ربهم و يستقيم أمرهم و يهدون لرشدهم.

(لَئِنْ الشَّيْطَانُ كَانَتْ لِلْإِنْسَانِ عِدُوًّا مُّبِينًا) ظاهر العداوة ﴿٥٣﴾

(رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ) من أنفسكم

فلذلك لا يريد لكم إلا ما هو الخير و لا يأمركم إلا بما فيه مصلحة لكم و قد تريدون شيئا و الخير في عكسه.

(إِنْ يَشَأْ يُرْسِلْكُمْ) فيوفق من شاء لأسباب الرحمة

(أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ) و يخذل من شاء فيضل عنها فيستحق العذاب.

(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ) يا محمد

(عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا) تدبر أمرهم و تقوم بمجازاتهم و إنما الله هو الوكيل و أنت مبلغ هاد إلى صراط مستقيم ﴿٥٤﴾

(وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)

من جميع أصناف الخلائق فيعطى كلا منهم ما يستحقه تقتضيه حكمته و يفضل بعضهم على بعض في جميع الخصال الحسية و المعنوية

(وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ)

كما فضل بعض النبيين المشتركين بوحيه على بعض بالفضائل و الخصائص الراجعة إلى ما من به عليهم من:-

الأوصاف الممدوحة و الأخلاق المرضية و الأعمال الصالحة و كثرة الأتباع و نزول الكتب على بعضهم المشتملة على الأحكام الشرعية و العقائد المرضية

\* كَمَا قَالَ: {تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ} [البقرة: 253]

\* فإذا كان تعالى قد فضل بعضهم على بعض و أتى بعضهم كتباً فلم ينكر المكذبون لمحمد ﷺ ما أنزله الله عليه و ما فضله به من النبوة و الكتاب.

\* وَ لَا خِلَافَ أَنَّ الرُّسُلَ أَفْضَلُ مِنْ بَقِيَّةِ الْأَنْبِيَاءِ وَ أَنَّ أُولَى الْعَزْمِ مِنْهُمْ أَفْضَلُهُمْ وَ هُمْ الْخَمْسَةُ الْمَذْكُورُونَ نَصًّا فِي آيَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ:- {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ} [الأحزاب: 7] و قَوْلِهِ: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ

أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} [الشورى: 13]

وَ لَا خِلَافَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ أَفْضَلُهُمْ ثُمَّ بَعْدَهُ إِبْرَاهِيمُ ثُمَّ مُوسَى عَلَى الْمَشْهُورِ

(وَمَا آتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا) كما أنزل على داود زبوراً و هو الكتاب المعروف\_تَنْبِيهُ عَلَى فَضْلِهِ وَ شَرَفِهِ.

\* البخارى 4713 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خُفِّفَ عَلَى دَاوُدَ الْقِرَاءَةُ فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَابَّتِهِ لِيُشْرَجَ

فَكَانَ يَقْرَأُ قَبْلَ أَنْ يَفْرُغَ-يَعْنِي-الْقُرْآنَ»

\*الصحيح الممسند من أسباب النزول:مسلم(3030)عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ [الإسراء: 57] قَالَ:كَانَ نَفَرٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعْبُدُونَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ فَأَسْلَمَ النَّفَرُ مِنَ الْجِنِّ وَاسْتَمْسَكَ الْإِنْسُ بِعِبَادَتِهِمْ فَتَنَزَّلَتْ: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ [الإسراء: 57] ۞

( قُلِ ) للمشركين بالله الذين اتخذوا من دونه أندادا يعبدونهم كما يعبدون الله و يدعونهم كما يدعونه ملزما لهم بتصحيح ما زعموه و اعتقدوه إن كانوا صادقين:-

(أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ)آلهة من دون الله فانظروا هل ينفعونكم أو يدفعون عنكم الضر

(فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ)من مرض أو فقر أو شدة و نحو ذلك فلا يدفعونه بالكلية

(وَلَا)يملكون أيضا (تَحْوِيلًا)تحويله من شخص إلى آخر من شدة إلى ما دونها.

فإذا كانوا بهذه الصفة فلأى شيء تدعونهم من دون الله؟

فإنهم لا كمال لهم و لا فعال نافعة فاتخاذهم آلهة نقص في الدين و العقل و سفه في الرأي.

\*و من العجب أن السفه عند الاعتقاد و الممارسة و تلقيه عن الآباء الضالين بالقبول يراه صاحبه هو الرأي السديد و العقل المفيد.

\*و يرى إخلاص الدين لله الواحد الأحد الكامل المنعم بجميع النعم الظاهرة و الباطنة هو السفه والأمر

المتعجب منه كما قال المشركون:(أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ)

\*و هذه الآية عامة في كل ما يُدعى من دون الله ميتاً كان أو غائباً من الأنبياء و الصالحين و غيرهم بلفظ

الاستغاثة أو الدعاء أو غيرهما فلا معبود بحق إلا الله ۞

\*ثم أخبر أيضا أن الذين يعبدونهم من دون الله في شغل شاغل عنهم باهتمامهم بالافتقار إلى الله و ابتغاء

الوسيلة إليه فقال:-

( أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ)من الأنبياء و الصالحين و الملائكة

(يَبْتَغُونَ)يطلبون و يتنافسون و يبذلون

(إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ)ما يقدرّون عليه من الأعمال الصالحة المقربة إلى الله تعالى

(أَتَيْتُمُ اقْرَبَ)من ربهم

(وَيَرْجُونَ)يأملون(رَحْمَتَهُ)يبذلون ما يقدرّون عليه من الأعمال الصالحة المقربة إلى رحمة الله تعالى

(وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ)فيجتنبون كل ما يوصل إلى العذاب.

\*لَا تَتَمُّ الْعِبَادَةُ إِلَّا بِالْخَوْفِ وَ الرَّجَاءِ فَبِالْخَوْفِ يَنْكَفُّ عَنِ الْمَنَاهِي وَ بِالرَّجَاءِ يَنْبَعِثُ عَلَى الطَّاعَاتِ.

(إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا) أى: هو الذى ينبغي شدة الحذر منه و التوقى من أسبابه.

و هذه الأمور الثلاثة: -**الخوف** و **الرجاء** و **المحبة** التى وصف الله بها هؤلاء المقربين عنده هى الأصل و المادة فى كل خير.

فمن تمت له تمت له أموره و إذا خلا القلب منها ترحلت عنه الخيرات و أحاطت به الشرور.  
و علامة المحبة ما ذكره الله أن يجتهد العبد فى كل عمل يقربه إلى الله و ينافس فى قربه بإخلاص الأعمال كلها لله و النصح فيها و إيقاعها على أكمل الوجوه المقدور عليها فمن زعم أنه يحب الله بغير ذلك فهو كاذب ﴿٥٧﴾

(وَلَا يَمُنُّ مِنْ قَرْبَةٍ) من القرى المكذبة للرسول (إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ أَلْقِيكُمُهَا)

(أَوْ مَعَذِبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا) إِمَّا بِقَتْلِ أَوْ ابْتِلَاءٍ بِمَا يَشَاءُ وَ إِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ وَ خَطَايَاهُمْ  
كَمَا قَالَ عَنِ الْأَمَمِ الْمَاضِينَ: {وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ} [هود: 101] وَ قَالَ {وَكَايُنْ مِنْ قَرْبَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا 7 فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا} [الطلاق]

(كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا) كتاب كتبه الله و قضاء أبرمه لا بد من وقوعه فليبادر المكذبون بالإنبابة إلى الله و تصديق رسله قبل أن تتم عليهم كلمة العذاب و يحق عليهم القول ﴿٥٨﴾

الاعجاز العلمى فى :- (قل كونوا حجارة أو حديدًا) الرابط

قال تعالى (وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرِفَاتًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ٩٩ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ٥٥ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ٥٦) الإسراء

تحدث هذه الآيات عن إنكار المشركين لحقيقة البعث بعد الموت بعد أن يتحولوا إلى عظام و تراب و لكن جاء الرد الإلهى يخبرهم أنكم حتى لو أصبحتم حجارة أو حديد فإن الله قادر على أن يبعثكم مرة أخرى و لا اشكال عند الله فى كونكم فى الصورة العضوية (عظام و رفات) أو أنكم تحولتم الى صورة غير عضوية (حجارة - حديد) فالذى فطر الانسان و غيره من المخلوقات لأول مرة من تراب الأرض قادر على الاعادة و هى من وجهة نظركم أهون على الله الذى لا يوجد عنده سهل و صعب فالكل فى حقه سهل (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) الروم ٢٧

و فى هذه الآيات يشير القرآن إلى تحول الموتى إلى حجارة أو حديد و هذه حقيقة تم إثباتها علميا. ليس هذا فقط بل أصبحت هذه الحقيقة أساس علمى لدراسات أكثر تعقيدا فيما يعرف بعلم المتحجرات (Paleontology). و بالتالى فإن القرآن قد سبق العلم الحديث فى الإشارة إلى حقيقة تكون الحفريات نتيجة

تحول الموتى إلى حجارة أو حديد.

الحفريات (Fossils)

الحفريات أو المتحجرات هي عبارة عن بقايا أو آثار الحيوانات أو النباتات التى حفظت بواسطة أسباب طبيعية



عظام بشرية متحجرة

على سطح القشرة الأرضية و مصطلح Fossil يشير إلى كل ما هو

موجود أو مدفون في الأرض بصورة عامة لذا فإن الأحياء التي تعيش حالياً يمكن اعتبارها متحجرات عندما تموت و تدفن لان معظم علماء المتحجرات يعزون تصنيف المتحجرات على إنها الكائنات التي دفنت في أزمان معينة.

حيث أن الحد الأدنى لعمر المتحجرات يعتبر 10 آلاف سنة و يصل أعمار بعض المتحجرات إلى 4 مليار سنة. و تمثل المتحجرات المكتشفة و غير المكتشفة و أماكن تواجدها في التكوينات الصخرية و الطبقات الرسوبية ما يعرف باسم السجل الحفري.

و لقد استطاع العلماء تحديد أعمار المتحجرات عن طريق تحديد أعمار طبقات الصخور التي تحتوى عليها و ذلك بواسطة ما يعرف باسم (radiometric dating) هـ ي تحديد أعمار الصخور عن طريق النظائر المشعة الموجودة بها.

و من هنا فإن الطريقة الوحيدة لدراسة الحياة القديمة (prehistoric life) هي عن طريق دراسة بقاياها المحفوظة على هيئة متحجرات.

و لذلك فمن الخطأ مثلاً أن يصف بعض الناس متحجرات الديناصورات بالهيكل العظمى للديناصور حيث أنه في الحقيقة لا يمكن للمواد العضوية التي تتكون منها العظام أن تظل موجودة لهذه الملايين من السنين. بل ما نراه بأعيننا هو عبارة عن نموذج صخري لهذه العظام.

و بالتالى فنحن لا نرى من بقايا الديناصورات إلا الأجزاء التي تحولت منها إلى حجارة

علم الحفريات "زخر أرشيف الحياة على الأرض

بسجل رائع للأمم التي تداولتها الأيام من أقدم الكائنات ظهوراً على الأرض وإلى يومنا هذا.

وعلى دارس علم الحياة القديمة أن يسير في الأرض

فينظر كيف بدأ الخلق. حقا إنه سجل مبهر إلا أنه في نفس الوقت ليس كاملاً.

وإن كانت الحقيقة أن كل ما عاش مات إلا أنه من المؤكد أن كل ما مات لم يقبر وك ل ما قبر لم يحفظ و كل ما حفظ لم نعثر عليه و كل ما عثرنا عليه لم نتعرفه و يحوى سجل الحياة فراغات أكثر من السجل ذاته. و تلعب ثلاثة عوامل أدواراً رئيسية في حفظ بقايا الكائنات البائدة تتنوع ما بين :-

1-التحطيم الميكانيكي 2-و الحيائي 3-و الكيميائي

و حينما ندرس لطلابنا الطرق التي من خلالها يتم حفظ الكائنات

لا يجب أن تغيب عنا إشارات القرآن عن إمكانية تحول بقايا الإنسان إلى حجارة أو حديد أو ما هو أكبر من ذلك و إلى المثلية بين الدواب و الطيور والإنسان و إلى تقسيم الكائنات و إلى تعريف النوع البيولوجي و إلى أن السجل الكامل للأقدمين عند رب العالمين."

ما هي شروط حفظ المتحجرات؟

1-وجود أجزاء صلبة مثل العظام والأصداف والنسيج الصوفي

2-سرعة الطمر مع انتقال بسيط للكائنات من موقع موتها

و ليس مسافة طويلة و هذا يقع تحت علم Taphonomy

و هو علم متخصص بما حصل للكائن الميت من زمن موته إلى حين اكتشافه

3-الدفن في الترسبات الناعمة مثل الطين و الغرين و الرمل



حفرة لهيكل عظمى متحجر لديناصور



بقايا هيكل عظمى بشري



4-حركة قليلة لفعالية البكتريا على بقايا الحيوانات و النباتات بعد موتها و عليه عدم حصول التحلل السريع

5-مستوى ثابت من درجة الحرارة و الرطوبة

6-عملية دوران المياه الجوفية حاملا المعادن الذائبة لتثبيت المكونات الكيميائية.

كيف تتحول العظام إلى حجارة أو حديد؟

من المعروف أن أكثر بقايا الكائنات الحية حفظا هي البقايا الصلبة مثل العظام و الأسنان و الدروع. و يحدث ذلك عندما يتم استبدال المركبات الكيميائية في هذه البقايا بأنواع من المعادن تكون غالبا إما معدن الكالسيت (calcite) أو السليكا (silica) أو البيريت (pyrite).

و من هنا يمكن تقسيم هذه البقايا المتحجرة حسب المعادن التي استبدلتها إلى نوعين أساسيين:-

1-البقايا التي تحولت إلى حجارة من المعروف أن الكالسيت و السليكا هم المكون الأساسي لمعظم انواع الصخور و الحجارة بل أن السليكا مثلا هي أكثر المعادن تواجدا في القشرة الأرضية. و لذلك فعندما تستبدل معادن السليكا أو الكالسيت بقايا الكائن الحي يتكون نموذج صخري لهذه البقايا و بالتالي فإن هذه البقايا تكون تحولت بالفعل إلى حجارة.

2-البقايا التي تحولت إلى حديد في كثير من الحالات يتم استبدال بقايا الكائن الحي بمعدن البيريت و الذي يعرف أيضا باسم الحديد بيريت (Iron pyrite). و هذا المعدن عبارة عن ثاني كبريتيد الحديد (FeS<sub>2</sub>) و يعطى هذا المعدن لون و بريق يشبه الذهب لذلك يعرف باسم الذهب الكاذب.

و عندما يتم استبدال بقايا الكائن الحي بهذا المعدن و يكون محفوظا حفظا جيدا فإن نموذج هذه البقايا المكون من الحديد بيريت يعطى بريق معدني مماثل لبريق البيريت.

كن أكثر من ذلك إن معدن البيريت معدن غير ثابت فعندما لا تكون البقايا محفوظة جيدا و تتعرض للرطوبة فإنها تتأكسد و تتحول إلى ركامة من الصدأ

و الذي هو عبارة عن كبريتات الحديد (FeSO<sub>4</sub>.7 H<sub>2</sub>O).

و لنرى مدى الإعجاز فبقايا الكائنات الحية تتحول

مع مرور العصور و الأزمان إلى حجارة أو في بعض الحالات تتحول إلى خامات الحديد

و التي نفسها مع الوقت تتحول إلى كومة من صدأ الحديد (قل كونوا حجارة أو حديد) (الإسراء 50).

و لنقول للكافرين نعم مهما مر من الوقت و العصور على الموتى و تحولوا إلى حجارة أو حتى تحولوا إلى حديد فإن الذي خلقهم من العدم قادر على أن يعيدهم مرة أخرى.

و ليعلم العالم كله أن هذا الكتاب العظيم المنزل على قلب نبي في قلب الصحراء هو كلام خالق هذا الكون عز وجل.



حفرة لصدفة تحللت واستبدلت بمعدن الحديد البيريت مما أعطاه هذا البريق الذهبي



وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَعَائِنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا  
وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخَوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرِّئَاسَةَ الَّتِي آرَيْتَكَ  
إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾  
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾  
قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾  
قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَأَسْتَفِرُّ مِنْ أَسْطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ  
وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخِيلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ مَا يَعِدُّهُمُ الشَّيْطَانُ  
إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾  
رَبِّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلُوكَ فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهٗ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾

\* جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول: أحمد 2333 - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:-

سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَجْعَلَ لَهُمُ الصَّفَا ذَهَبًا وَأَنْ يُنْحَى الْجِبَالُ عَنْهُمْ فَيَزْرَعُوا فَقِيلَ لَهُ:-  
إِنْ شِئْتَ أَنْ تَسْتَأْنِي بِهِمْ وَإِنْ شِئْتَ أَنْ نُؤْتِيَهُمُ الَّذِي سَأَلُوا فَإِنْ كَفَرُوا أَهْلِكُوا كَمَا أَهْلَكْتَ مَنْ قَبْلَهُمْ  
قَالَ:- "لَا بَلَّ أَسْتَأْنِي بِهِمْ" فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْآيَةَ:-

وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَعَائِنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً [الإسراء: 59]

(وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ)

يذكر تعالى رحمته بعدم إنزاله الآيات التي يقترح بها المكذبون و أنه ما منعه أن يرسلها

(إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ) إلا خوفا من تكذيبهم لها

\* فإذا كذبوا بها عاجلهم العقاب و حلَّ بهم من غير تأخير كما فعل بالأولين الذين كذبوا بها.

\* بَعْدَمَا سَأَلُوهَا وَ جَرَتْ سُنَّتُنَا فِيهِمْ وَ فِي أَمْثَالِهِمْ أَنَّهُمْ لَا يُؤَخَّرُونَ إِذَا كَذَّبُوا بِهَا بَعْدَ نُزُولِهَا كَمَا قَالَ اللَّهُ  
[إِنَّ اللَّهَ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ] [النمائد: 115]

(وَعَائِنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ) و من أعظم الآيات الآية التي أرسلها الله إلى ثمود و هي الناقة العظيمة الباهرة التي كانت

تصدر عنها جميع القبيلة بأجمعها

و مع ذلك كذبوا بها فأصابهم ما قص الله علينا في كتابه و هؤلاء كذلك لو جاءتهم الآيات الكبار لم يؤمنوا

فإنه ما منعهم من الإيمان خفاء ما جاء به الرسول و اشتباهه هل هو حق أو باطل؟

فإنه قد جاء من البراهين الكثيرة ما دل على صحة ما جاء به الموجب لهداية من طلب الهداية فغيرها مثلها

فلا بد أن يسلكوا بها ما سلكوا بغيرها فترك إنزالها و الحالة هذه خير لهم و أنفع.

(مُبْصِرَةٌ) معجزة واضحة و هى الناقة (ليس المراد أن للناقة بصر تبصر به)

(فَظَلَّمُوا بِهَا) فكفروا بها فأهلكناهم

(وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا) أى:- لم يكن القصد بها أن تكون داعية و موجبة للإيمان الذي لا يحصل إلا بها بل المقصود منها التخويف و الترهيب ليرتدعوا عن ما هم عليه.

\*البخارى 1040- عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه قَالَ:- كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَأَنْكَسَفَتِ الشَّمْسُ (تغير ضوؤها و نقص) فَقَامَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَجُرُّ رِدَاءَهُ (من العجلة) حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَدَخَلْنَا فَصَلَّى بِنَا رَكَعَتَيْنِ حَتَّى انْجَلَتِ الشَّمْسُ (صفت و عاد ضوؤها) فَقَالَ صلى الله عليه وسلم:- «إِنَّ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا (رأيتهم تغيرها) فَصَلُّوا وَ ادْعُوا حَتَّى يُكْشَفَ مَا بَكُمْ» 59

( وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ) علما و قدرة فليس لهم ملجأ يلجأون إليه و لا ملاذ يلوذون به عنه و هذا كاف لمن له عقل في الانكفاف عما يكرهه الله الذى أحاط بالناس.

(وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) أكثر المفسرين على أنها ليلة الإسراء.

(وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ) التى ذكرت

(فِي الْقُرْآنِ) و هى شجرة الزقوم التى تنبت فى أصل الجحيم.

و المعنى إذا كان هذان الأمران قد صارا فتنة للناس حتى استلج الكفار بكفرهم و ازداد شرهم و بعض من كان إيمانه ضعيفا رجع عنه بسبب أن ما أخبرهم به من الأمور التى كانت ليلة الإسراء

\* و من الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى كان خارقا للعادة.

\* و الإخبار بوجود شجرة تنبت فى أصل الجحيم أيضا من الخوارق فهذا الذى أوجب لهم التكذيب فكيف لو شاهدوا الآيات العظيمة و الخوارق الجسيمة؟

\*أليس ذلك أولى أن يزداد بسببه شرهم؟! فلذلك رحمهم الله و صرفها عنهم

(وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ)

\* و من هنا تعلم أن عدم التصريح فى الكتاب و السنة بذكر الأمور العظيمة التى حدثت فى الأزمنة المتأخرة

أولى و أحسن لأن الأمور التى لم يشاهد الناس لها نظيرا ربما لا تقبلها عقولهم لو أخبروا بها قبل وقوعها فيكون ذلك ريبا فى قلوب بعض المؤمنين و مانعا يمنع من لم يدخل الإسلام و منفرا عنه.

بل ذكر الله ألفاظا عامة تتناول جميع ما يكون.

(وَتَخَوِّفُهُمْ) بالآيات (فَمَا يَزِيدُهُمْ) التخويف

(**لَا تُفْنِينَا**) تَمَادِيَا فِيمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَ الضَّلَالِ (**كَبِيرًا**) وَ ذَلِكَ مِنْ خِذْلَانِ اللَّهِ لَهُمْ

و هذا أبلغ ما يكون في التملّى بالشر و محبته و بغض الخير و عدم الانقياد له **60**

(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ)

\*ينبه تبارك و تعالى عباده على شدة عداوة الشيطان و حرصه على إضلالهم و أنه لما خلق الله آدم استكبر عن

السجود له

السجود لآدم و امتناع إبليس 61-65

و (**قَالَ**) متكبرا: - (ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا) أى: - من طين و بزعمه أنه خير منه لأنه خلق من نار.

و قد تقدم فساد هذا القياس الباطل من عدة وجوه كقوله {أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} [الأعراف: 12] **61**

فلما تبين لإبليس تفضيل الله لآدم: - (**قَالَ**) مخاطبا لله: -

(أَرَأَيْتَكَ) يَقُولُ لِلرَّبِّ جَرَاءَةً وَ كُفْرًا وَ الرَّبُّ يَحْلُمُ وَ يَنْظُرُ

(هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ) لأستأصلن بالإضلال و لأغوين (**ذُرِّيَّتَهُ**)

(**إِلَّا قَلِيلًا**) عرف الخبيث أنه لا بد أن يكون منهم من يعاديه و يعصيه **62**

فقال الله له: - (**أَذْهَبْ**) كَمَا قَالَ: - {قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ 37 إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ} [الجعر]

(**قَالَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ**) و اختارك على ربه و وليه الحق

(فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا) مدخرا لكم موفرا جزاء أعمالكم **63**

\*ثم أمره الله أن يفعل كل ما يقدر عليه من إضلالهم فقال: -

(وَاسْتَغْفِرْ) اسْتَخَفَّفَ كُلَّ (مَنْ اسْتَطَاعَتْ) استخفافه (مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ) بدعوتك إياه إلى معصيتي

\* و يدخل في هذا كل داع إلى المعصية (بِاللَّهْوَ وَ الْغِنَاءِ)

(وَاجْلِبْ عَلَيْهِمْ) تُسَلِّطُ عَلَيْهِمْ بِكُلِّ مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ

(بِخَيْلِكَ وَ رَجْلِكَ) و يدخل فيه كل راكب و ماش في معصية الله فهو من خيل الشيطان و رجله.

و المقصود أن الله ابتلى العباد بهذا العدو المبين الداعى لهم إلى معصية الله بأقواله و أفعاله.

\* وَ هَذَا أَمْرٌ قَدَرِيٌّ كَمَا قَالَ {أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تُوْزُّهُمْ أَزْجًا} [مزيم: 83] أى: -

تُرْجِعُهُمْ إِلَى الْمَعَاصِي إِرْجَاجًا وَ تَسُوقُهُمْ إِلَيْهَا سَوْقًا

\* وَ تَقُولُ الْعَرَبُ: - "أَجْلَبَ فُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ": - إِذَا صَاحَ عَلَيْهِ. وَ مِنْهُ: "نَهَى فِي الْمُسَابَقَةِ عَنِ الْجَلْبِ وَ الْجَنْبِ" وَ مِنْهُ اسْتِثْقَاقُ "الْجَلْبَةِ" وَ هِيَ ارْتِفَاعُ الْأَصْوَاتِ.

(وَ شَارِكُهُمْ) و اجعل لنفسك شِرْكة (فِي الْأَمْوَالِ) بأن يكسبوها من الحرام

و ذلك شامل لكل معصية تعلقت بأموالهم و أولادهم من منع الزكاة و الكفارات و الحقوق الواجة

\* و أخذ الأموال بغير حقها أو وضعها بغير حقها أو استعمال المكاسب الردية.

\*هُوَ الرَّبَا هُوَ جَمْعُهَا مِنْ حَبِيثٍ وَ إِنْفَاقُهَا فِي حَرَامٍ.

(وَالْأَوْلَادُ) و شِرْكَة في الأولاد بتزيين الزنى و المعاصي و مخالفة أوامر الله حتى يكثر الفجور و الفساد

\* و عدم تأديب الأولاد و تربيتهم على الخير و ترك الشر

بل ذكر كثير من المفسرين أنه يدخل في مشاركة الشيطان في الأموال و الأولاد ترك التسمية عند الطعام

و الشراب و الجماع و أنه إذا لم يسم الله في ذلك شارك فيه الشيطان كما ورد فيه الحديث.

\*مسلم 2865- قال النبي ﷺ يقول الله:-

وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَ إِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَ حَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ

(وَعَدَهُمْ) الوعود المزخرفة التي لا حقيقة لها و لهذا قال:-

(وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا) باطلا مضمحلا كأن يزين لهم المعاصي و العقائد الفاسدة

و يعدهم عليها الأجر لأنهم يظنون أنهم على الحق

\*كَمَا أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ إِبْلِيسَ أَنَّهُ يَقُولُ إِذَا حَصَّصَ الْحَقُّ يَوْمَ يَقْضَى بِالْحَقِّ: إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ

فَأَخْلَفْتُكُمْ} [إِبْرَاهِيمَ: 22] و قال {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمُ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا} [البقرة: 268] 64

\* و لما أخبر عما يريد الشيطان أن يفعل بالعباد و ذكر ما يعتصم به من فتنته و هو عبودية الله و القيام بالإيمان

و التوكل فقال:- (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ) تسلط و إغواء

بل الله يدفع عنهم-بقيامهم بعبوديته- كل شر و يحفظهم من الشيطان الرجيم و يقوم بكفائتهم.

(وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا) حَافِظًا وَ مُؤَيِّدًا وَ نَاصِرًا لمن توكل عليه و أدى ما أمر به 65

من نعم الله على عباده 66-69

(رَبُّكُمْ الَّذِي يُزَيِّجُ) يُسَيِّرُ

(لَكُمْ أَلْفُكَ فِي الْبَحْرِ) يذكر تعالى نعمته على العباد بما سخر لهم من الفلك و السفن و المراكب و ألهمهم

كيفية صنعتها و سخر لها البحر الملتطم يحملها على ظهره

(لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) لينتفع العباد بها في الركوب و الحمل للأمتعة و التجارة.

(إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا)

و هذا من رحمته بعباده فإنه لم يزل بهم رحيمًا رؤوفا يؤتيهم من كل ما تعلقت به إرادتهم و منافعهم ﴿٦٦﴾

وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿١٧﴾  
 أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿١٨﴾  
 أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ  
 ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿١٩﴾ \* وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ  
 وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٢٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ  
 بِإِمِّهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ يَمِينُهُ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٢١﴾  
 وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ  
 عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِنُفْتِرِيَ عَلَيْكَ غَيْرُهُ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلًا ﴿٢٣﴾  
 وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٢٤﴾  
 إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٢٥﴾

(وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ) و من رحمته الدالة على أنه وحده المعبود دون ما سواه أنهم إذا مسهم الضر في البحر فخافوا من الهلاك لتراكم الأمواج

(ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ) ضل عنهم ما كانوا يدعون من دون الله في حال الرخاء من الأحياء و الأموات فكأنهم لم يكونوا يدعونهم في وقت من الأوقات لعلمهم أنهم ضعفاء عاجزون عن كشف الضر و صرخوا بدعوة فاطر الأرض و السماوات الذي تستغيث به في شدائدها جميع المخلوقات و أخلصوا له الدعاء و التضرع في هذه الحال.

(فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ) فلما كشف الله عنهم الضر و نجاهم إلى البر و نسوا ما كانوا يدعون إليه من قبل و أشركوا به من لا ينفع و لا يضر و لا يعطى و لا يمنع و أعرضوا عن الإخلاص لربهم و مليكهم

(وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا) و هذا من جهل الإنسان و كفره فإن الإنسان كفور للنعم

إلا من هدى الله فمن عليه بالعقل السليم و اهتدى إلى الصراط المستقيم فإنه يعلم أن الذي يكشف الشدائد و ينجي من الأهوال هو الذي يستحق أن يفرد و تخلص له سائر الأعمال في الشدة و الرخاء و اليسر و العسر.  
 \* و أما من حُذِل و وُكِل إلى عقله الضعيف فإنه لم يلحظ وقت الشدة إلا مصلحته الحاضرة و إنجاءه في تلك الحال.

\* فلما حصلت له النجاة و زالت عنه المشقة ظن بجهله أنه قد أعجز الله و لم يخطر بقلبه شيء من العواقب

الدينية فضلا عن أمور الآخرة ﴿٦٧﴾

و لهذا ذكرهم الله بقوله:-

( أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ) وَ هُوَ: الْمَطَرُ الَّذِي فِيهِ حِجَارَةٌ كَمَا قَالَ:-

{إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَابٍ} [الْقَمَر: 34] وَ قَالَ {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ} [هُود: 82]

وَ قَالَ {أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ} 16 أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ {[الْمُلْك:]}

أى: فهو على كل شيء قدير إن شاء أنزل عليكم عذابا من أسفل منكم بالخسف أو من فوقكم بالحابص و هو العذاب الذى يحصبهم فيصبحوا هالكين فلا تظنوا أن الهلاك لا يكون إلا في البحر.

( ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ) ناصرا يرد ذلك عنكم وَ يُنْقِذُكُمْ مِنْهُ ﴿٦٨﴾

( أَمْ أَمِنْتُمْ ) و إن ظننتم ذلك فأنتم آمنون من

( أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ ) فى البحر ( تَارَةً أُخْرَى ) مرة ثانية

( فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ ) أى: ريحا شديدة جدا تقصف ما أتت عليه.

من مقامات التفضيل 72-70

( فَيَغْرِقْكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ) يَقْصِفُ الصَّوَارِيَ وَ يُغْرِقُ الْمَرَكَبَ

( ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ) أى:- تبعة و مطالبة فإن الله لم يظلمكم مثقال ذرة.

\* نَصِيرًا ثَائِرًا يَأْخُذُ بِثَأْرِكُمْ بَعْدَكُمْ وَ لَا نَخَافُ أَحَدًا يَتَّبِعُنَا بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ﴿٦٩﴾

( وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ )

و هذا من كرمه عليهم و إحسانه الذى لا يقادر قدره حيث كرم بنى آدم بجميع وجوه الإكرام فكرمهم بالعلم و العقل و إرسال الرسل و إنزال الكتب و جعل منهم الأولياء و الأصفياء و أنعم عليهم بالنعم الظاهرة و الباطنة

كَمَا قَالَ: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} [التَّيْن: 4]

أى: يَمْشِي قَائِمًا مُنْتَصِبًا عَلَى رِجْلَيْهِ وَ يَأْكُلُ بِيَدَيْهِ- وَ غَيْرُهُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ وَ يَأْكُلُ بِفَمِهِ- وَ جَعَلَ لَهُ سَمْعًا وَ بَصَرًا وَ فُؤَادًا يَفْقَهُ بِذَلِكَ كُلَّهُ وَ يَنْتَفِعُ بِهِ وَ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ وَ يَعْرِفُ مَنَافِعَهَا وَ خَوَاصَهَا وَ مَضَارَهَا فِي الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَ الدِّينِيَّةِ.

( وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ ) على الركاب من الإبل و البغال و الحمير و المراكب البرية.

( وَ ) فى ( وَالْبَحْرِ ) فى السفن و المراكب

( وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ ) من المأكلة و المشارب و الملابس و المناكح.



فما من طيب تتعلق به حوائجهم إلا و قد أكرمهم الله به و يسره لهم غاية التيسير .

(وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) بما خصهم به من المناقب و فضلهم به من الفضائل التي ليست لغيرهم من أنواع المخلوقات. أفلا يقومون بشكر من أولى النعم و دفع النقم و لا تحجبهم النعم عن المنعم فيشتغلوا بها عن عبادة ربهم بل ربما استعانوا بها على معاصيه<sup>70</sup>

(يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِمْنِهِمْ) بِكِتَابِ أَعْمَالِهِمْ

يخبر تعالى عن حال الخلق يوم القيامة و أنه يدعو كل أناس و معهم إمامهم و هاديهم إلى الرشد و هم الرسل و نوابهم فتعرض كل أمة و يحضرها رسولهم الذي دعاهم و تعرض أعمالهم على الكتاب الذي يدعو إليه الرسول هل هي موافقة له أم لا؟

\*البخارى 806- قال النبي ﷺ:-

مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْ فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعِ الشَّمْسَ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعِ الْقَمَرَ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعِ الطَّوَاغِيتَ  
\*فينقسمون بهذا قسمين:-

(فَمَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ يَمِينُهُ)

لكونه اتبع إمامه الهادي إلى صراط مستقيم و اهتدى بكتابه فكثرت حسناته و قلت سيئاته

(فَأُولَٰئِكَ يَقْرَأُونَ كِتَابَهُمْ) قراءة سرور و بهجة على ما يرون فيها مما يفرحهم و يسرهم.

(وَلَا يَظْلَمُونَ فَتِيلًا) مما عملوه من الحسنات\_هُوَ الْخَيْطُ الْمُسْتَطِيلُ فِي شِقِّ النَّوَاةِ<sup>71</sup>

(وَمَنْ كَانَ فِي) بمعنى عن (هَذِهِ) الدنيا (أَعْمَى) عن الحق فلم يقبله و لم ينقد له بل اتبع الضلال.

(فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى) عن سلوك طريق الجنة كما لم يسلكه في الدنيا

(وَأَضَلُّ سَبِيلًا) فإن الجزء من جنس العمل كما تدين تدان و في هذه الآية:-

1-دليل على أن كل أمة تدعى إلى دينها و كتابها هل عملت به أم لا؟

2-و أنهم لا يؤاخذون بشرع نبي لم يؤمروا باتباعه

3-و أن الله لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه و مخالفته لها

4-و أن أهل الخير يعطون كتبهم بأيمانهم و يحصل لهم من الفرح و السرور شيء عظيم

5-و أن أهل الشر بعكس ذلك لأنهم لا يقدرون على قراءة كتبهم من شدة غمهم و حزنهم و ثبورهم<sup>2 7</sup>

\*يذكر تعالى منته على رسوله محمد ﷺ و حفظه له من أعدائه الحريصين على فتنته بكل طريق فقال:-

محاولة فتنه الرسول و توجيهات الله له 73-85

(وَلِإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ)

أى: قد كادوا لك أمراً لم يدركوه و تحيلوا لك على أن تفتري على الله غير الذي أنزلنا إليك

(لِنَفْتَرِيْ عَلَيْنَا غَيْرَهُ) فتجىء بما يوافق أهواءهم و تدع ما أنزل الله إليك.

(وَإِذَا) لو فعلت ما يهون

(لَا تَخْذُوكَ خَلِيلًا) أى حبيباً صفيّاً أعز عليهم من أحبابهم

لما جبلك الله عليه من مكارم الأخلاق و محاسن الآداب المحببة للقريب و البعيد و الصديق و العدو.  
و لكن لتعلم أنهم لم يعادوك و يباذوك العداوة إلا للحق الذى جئت به لا لذاتك كما قال الله تعالى:-

(قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) 73

### ثلاث آيات لأصحاب الفتاوى الشاذة

كنت في ضيق وغم وأنا أقرأ وأسمع بين آني وآخر فتاوى شاذة؛ تحل حراماً مما استقر على حرمة الواقع في بلاد المسلمين، فتتلقفها وتبتدرها وسائل الإعلام المغرضة فتنشرها، وتفرح بأصحابها فتمجدهم وتنافح عنهم، وتمسي صورهم وكلما تم ملء الشاشات والصحف، وكنت إذا حزبني أمر أو غمني سوء ملئت إلى واحة القرآن الكريم أستظل بأفائها وأنسم عبيرها، وذات يوم كنت أقرأ سورة الإسراء، فتسمرت عيناى على آيات ثلاث عجزت أن أجاوزهن: ﴿وَإِنْ كَادُوا

لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِنَفْتَرِيْ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخْذُوكَ خَلِيلًا ٧٣﴾ الإسراء وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ٧٤﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ٧٥﴾، وصرت أعيد قراءتهن وأفكر في معانيهن، وأقول في نفسي:

هل قرأهن فلان الذي أفتى بجواز الربا؟ وهل قرأهن فلان الذي أفتى بجواز الاختلاط؟  
سبحان الله! لقد اتخذ الإعلام السيئ كل واحدٍ من هؤلاء خليلاً!!

نسأل الله الثبات على الحق حتى الممات؛ فرسول الله ﷺ المؤيد بالوحي والعصمة كادوا يفتنونه عما أوحى الله إليه ليفتري على الله غيره، وسيتخذونه حينئذ خليلاً، ولولا أن ثبته الله لقد كاد يركن إليهم شيئاً قليلاً!

لكن ذاك الإنسان الضعيف غير المؤيد لا بوحى ولا عصمة؛ افترى على الله - عند أول إغراء - ما ليس في شرعه؛ فاتخذوه خليلاً فركن إليهم كثيراً وليس شيئاً قليلاً!

لكن هل تدبر هذا الضعيف الذي أفتى بغير شرع الله العاقبة التي يخشى عليه منها؟

ليقرأ عقاب خير البشر أولهم وآخرهم رسول الله ﷺ لو ركن إليهم شيئاً قليلاً ﴿إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً﴾، وأحر قلباه: ﴿ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾، ثم لا يجد له على الله نصيراً، كل هذا لو ركن إليهم شيئاً قليلاً، وهو صفى الله من خلقه وخليله!

إذا ما حال العبد المسكين الذي استخفه أصحاب الشهوات والشبهات فركن إليهم شيئاً كثيراً، وافترى على الله غير وحيه وشرعه؟ إنه لن يكون أكرم على الله من رسوله صلى الله عليه. نسأل الله الثبات على الحق حتى الممات.

(و) مع هذا ف—(وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ) على الحق و امتننا عليك بعدم الإجابة لداعيهم

(لَقَدْ كِدْتَ) لقاربْتَ أن (تَرْكُنْ) تميل (إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً) من الميل فيما اقترحوه عليك لي:-

1-قوة خداعهم 2-و شدة احتيالهم 3-و لرغبتك في هدايتهم 74

(إِذَا) لو ركنت إليهم بما يهوون

(لَأَذَقْنَاكَ) لأصبناك (ضِعْفَ) مثلى عذاب (الْحَيَاةِ وَضِعْفَ) مثلى عذاب (الْمَمَاتِ) الآخرة

أى:- لأصبناك بعذاب مضاعف فى الحياة الدنيا و الآخرة و ذلك لكمال نعمة الله عليك و كمال معرفتك.

(ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً) ينقذك مما يحل بك من العذاب

و لكن الله تعالى عصمك من أسباب الشر و من البشر فثبتك و هداك الصراط المستقيم و لم تترك إليهم بوجه

من الوجوه فله عليك أتم نعمة و أبلغ منحة 75

وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾  
 سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ  
 إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ  
 عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ  
 وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾  
 وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾  
 وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَا بِنِعْمَتِنَا وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلُّ يَعْمَلْ عَلَى شَاكِلَتِهِ  
 فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ  
 إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾

(وَإِنْ كَادُوا) لقد قارب الكفار (لَيَسْتَفِزُّونَكَ) ليستخفونك - يزعجوك (مِنَ الْأَرْضِ) أرض مكة (لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا)

و لو فعلوا ذلك (وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ) بعدك فيها (إِلَّا قَلِيلًا) حتى تحل بهم العقوبة ﴿٧٦﴾

(سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا)

كما هي سنة الله التي لا تحول و لا تبدل في جميع الأمم كل أمة كذبت رسولها و أخرجه عاجلها الله بالعقوبة.  
 \*هَكَذَا عَادَتُنَا فِي الَّذِينَ كَفَرُوا بِرُسُلِنَا وَ آذَوْهُمْ:- يَخْرُجُ الرَّسُولُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ:- وَيَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ.  
 وَ لَوْلَا أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ رَسُولُ الرَّحْمَةِ لَجَاءَهُمْ مِنَ النَّقْمِ فِي الدُّنْيَا مَا لَا قَبْلَ لِأَحَدٍ بِهِ  
 وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى:- {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الأنفال: 33]

\* و لما مكر به الذين كفروا و أخرجوه لم يلبثوا إلا قليلا حتى أوقع الله بهم بـ«بدر» و قتل صناديدهم و فض  
 ييضتهم فله الحمد.

\* و في هذه الآيات:-

1- دليل على شدة افتقار العبد إلى تثبيت الله إياه

2- و أنه ينبغي له أن لا يزال متملقاً لربه أن يشته على الإيمان ساعيا في كل سبب موصل إلى ذلك لأن النبي

ﷺ هو أكمل الخلق قال الله له:- (وَلَوْلَا أَنْ تَبَيَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا فكيف بغيره؟

3- و فيها:- تذكير الله لرسوله منته عليه و عصمته من الشر

4- فدل ذلك على أن الله يحب من عباده أن يتفطنوا لإنعامه عليهم - عند وجود أسباب الشر - بالعصمة منه

و الثبات على الإيمان.

5- وفيها: -أنه بحسب علو مرتبة العبد و تواتر النعم عليه من الله يعظم إثمه و يتضاعف جرمه إذا فعل ما يلام عليه لأن الله ذكر رسوله لو فعل -و حاشاه من ذلك- بقوله:-

(إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا)

6- وفيها: أن الله إذا أراد إهلاك أمة تضاعف جرمها و عظم و كبر فيحق عليها القول من الله فيوقع بها العقاب كما هي سنته في الأمم إذا أخرجوا رسولهم ﴿٧٧﴾

(أَقِمِ الصَّلَاةَ) يأمر تعالى نبيه محمداً ﷺ بإقامة الصلاة تامة ظاهراً و باطناً في أوقاتها.

(لَذُلُّوكِ الشَّمْسِ) ميلانها إلى الأفق الغربى بعد الزوال فيدخل في ذلك صلاة الظهر و صلاة العصر.

(إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ) أى:- ظلمته فدخل في ذلك صلاة المغرب و صلاة العشاء.

(وَقُرْآنَ الْفَجْرِ) أى:- صلاة الفجر و سميت قرآنا لمشروعية إطالة القرآن فيها أطول من غيرها

(إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا) و لفضل القراءة فيها حيث شهدها الله و ملائكة الليل و ملائكة و النهار.

\*أحمد7185 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:-

تَفْضُلُ الصَّلَاةِ فِي الْجَمِيعِ عَلَى صَلَاةِ الرَّجُلِ وَحْدَهُ خَمْسًا وَعَشْرِينَ وَ تَجْتَمِعُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَ مَلَائِكَةُ النَّهَارِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ "ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:- اقْرَءُوا إِنَّ شِئْتُمْ: {وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا} [الإسراء: 78]

\*أحمد7491 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-

إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَتَعَابُونَ مَلَائِكَةَ اللَّيْلِ وَ مَلَائِكَةَ النَّهَارِ فَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَ صَلَاةِ الْعَصْرِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ الَّذِينَ كَانُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ- وَ هُوَ أَعْلَمُ- فَيَقُولُ:- كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ يُصَلُّونَ وَ أَتَيْنَاهُمْ يُصَلُّونَ "

ففى هذه الآية:-

1- ذكر الأوقات الخمسة للصلوات المكتوبات

2- و أن الصلوات الموقعة فيه فرائض لتخصيصها بالأمر.

3- و فيها: أن الوقت شرط لصحة الصلاة و أنه سبب لوجوبها لأن الله أمر بإقامتها لهذه الأوقات.

4- و أن الظهر و العصر يجمعان و المغرب و العشاء كذلك للعدر لأن الله جمع وقتيهما جميعاً.

5- و فيه: فضيلة صلاة الفجر و فضيلة إطالة القراءة فيها و أن القراءة فيها ركن لأن العبادة إذا سميت ببعض

أجزائها دل على فرضية ذلك ﴿٧٨﴾

(وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ) أى: صل به فى سائر أوقاته.

(نَافِلَةٌ لَّكَ) لتكون صلاة الليل زيادة لك فى علو القدر و رفع الدرجات بخلاف غيرك فإنها تكون كفارة لسيئاته.

\*مسلم(1163) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-

«أَفْضَلُ الصَّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ وَ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ»

\*و يحتمل أن يكون المعنى:- أن الصلوات الخمس فرض عليك و على المؤمنين بخلاف صلاة الليل فإنها فرض عليك بالخصوص و لكرامتك على الله أن جعل وظيفتك أكثر من غيرك و ليكثر ثوابك

(عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا) و تنال بذلك المقام المحمود و هو:-

المقام الذى يحمد فيه الأولون و الآخرون مقام الشفاعة العظمى

حين يتشفع الخلائق بآدم ثم بنوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى و كلهم يعتذر و يتأخر عنها حتى يستشفعوا بسيد ولد آدم ليرحمهم الله من هول الموقف و كربه فيشفع عند ربه فيشفعه و يقيمه مقامًا يغبطه به الأولون و الآخرون و تكون له المنة على جميع الخلق.

\*الكبرى للنسائي 11230- عن حذيفة رضي الله عنه يَقُولُ:- يُجْمَعُ النَّاسُ فِي صَعِيدٍ وَ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ فَأَوَّلَ مَدْعُو مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَ سَعْدَيْكَ وَ الْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ وَ الشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ وَ الْمَهْدِيُّ مَنْ هَدَيْتَ وَ عَبْدُكَ وَ ابْنُ عَبْدِكَ وَ بِكَ وَ إِلَيْكَ وَ لَا مَلْجَأَ وَ لَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ تَبَارَكْتَ وَ تَعَالَيْتَ «فَهَذَا قَوْلُهُ»-

{عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا} [الإسراء: 79]

\*البخارى 4718 - عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ:

"إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُثًّا (جماعات واحدها جثة) كُلُّ أُمَّةٍ تَتَّبِعُ نَبِيَّهَا يَقُولُونَ:- يَا فُلَانُ اشْفَعْ يَا فُلَانُ اشْفَعْ حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ (تصل و يطلب أهل الموقف الشفاعة منه) إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللَّهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ

\*البخارى 614 - عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:-

مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ:- اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ (المراد ألفاظ الأذان يدعى بها إلى عبادة الله تعالى ووصفت بالتمام وهو الكمال لأنها دعوة التوحيد المحكمة التي لا يدخلها نقص بشرك أو نسخ أو تغيير أو تبديل) وَ الصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ (ما يتقرب به إلى غيره)

وَ الْفَضِيلَةَ (المرتبة الزائدة على سائر الخلائق و المراد هنا منزلة في الجنة لا تكن إلا لعبد واحد من عباد الله عز وجل)

وَ ابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ (أى بقوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا)

حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي (أى أن أشفع له بدخول الجنة أو رفع درجاته حسبما يليق به) يَوْمَ الْقِيَامَةِ " ﴿٧٩﴾

( وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ )

اجعل مداخلى و مخارجى كلها فى طاعتك و على مرضاتك و ذلك لتضمنها الإخلاص و موافقتها الأمر.

(وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا) حجة ظاهرة و برهانًا قاطعًا على جميع ما آتته و ما أذره.

و هذا أعلى حالة ينزلها الله العبد أن تكون أحواله كلها خيرًا و مقربة له إلى ربه و أن يكون له - على كل حالة من أحواله - دليلا ظاهرا و ذلك متضمن للعلم النافع و العمل الصالح للعلم بالمسائل و الدلائل.

\*قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهَا:- وَعَدَهُ رَبُّهُ لَيَنْزِعَنَّ مُلْكَ فَارِسَ وَ عِزَّ فَارِسَ وَ لَيَجْعَلَنَّهُ لَهُ وَ مُلْكَ الرُّومِ وَ عِزَّ الرُّومِ وَ لَيَجْعَلَنَّهُ لَهُ.

\*و قَالَ قَتَادَةُ فِيهَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلِمَ أَنَّ طَاقَةَ لَهُ بِهَذَا الْأَمْرِ إِلَّا بِسُلْطَانٍ فَسَأَلَ سُلْطَانًا نَصِيرًا لِكِتَابِ اللَّهِ وَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَ لِفَرَائِضِ اللَّهِ وَ لِإِقَامَةِ دِينِ اللَّهِ فَإِنَّ السُّلْطَانَ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ جَعَلَهُ بَيْنَ أَظْهَرِ عِبَادِهِ



وَلَوْلَا ذَلِكَ لَآغَارَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فَأَكَلَّ شَذِيدُهُمْ ضَعِيفَهُمْ. ﴿٨٠﴾

(وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ)

و الحق هو ما أوحاه الله إلى رسوله محمد ﷺ فأمره الله أن يقول و يعلن قد جاء الحق الذى لا يقوم له شىء

(وَرَهَقَ) اضمحل و تلاشى (الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا)

أى: هذا وصف الباطل و لكنه قد يكون له صولة و روجان إذا لم يقابله الحق

فعند مجىء الحق يضمحل الباطل فلا يبقى له حراك.

\* و لهذا لا يروج الباطل إلا فى الأزمان و الأمكنة الخالية من العلم بآيات الله و بيناته.

\* {بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ} [الأنبياء: 18]

\* البخارى 4720 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ وَ حَوْلَ الْبَيْتِ سِتُّونَ وَ ثَلَاثُ مِائَةٍ

نُصْبٍ فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ وَ يَقُولُ: {- جَاءَ الْحَقُّ وَرَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا} [الإسراء: 81]

{جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيقُ} [سبأ: 49] ﴿٨١﴾

( وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ )

فالقرآن مشتمل على الشفاء و الرحمة و ليس ذلك لكل أحد و إنما ذلك للمؤمنين به المصدقين بآياته العاملين

به

فالشفاء الذى تضمنه القرآن عام لشفاء القلوب من:-

الشبه و الجهالة و الآراء الفاسدة و الانحراف السيئ و القصود السيئة .

فإنه مشتمل على العلم اليقيني:- الذى تزول به كل شبهة و جهالة و الوعظ و التذكير:-

الذى يزول به كل شهوة تخالف أمر الله و لشفاء الأبدان من آلامها و أسقامها.

و أما الرحمة:-

فإن ما فيه من الأسباب و الوسائل التى يحث عليها متى فعلها العبد فاز بالرحمة و السعادة الأبدية و الثواب

العاجل و الآجل.

(وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا)

و أما الظالمون بعدم التصديق به أو عدم العمل به فلا تزيدهم آياته إلا خساراً إذ به تقوم عليهم الحجة

\* وَأَمَّا الْكَافِرُ الظَّالِمُ نَفْسَهُ بِذَلِكَ فَلَا يَزِيدُهُ سَمَاعُهُ الْقُرْآنَ إِلَّا بُعْدًا وَ تَكْذِيبًا وَ كُفْرًا. \* كَمَا قَالَ

أَقْلُ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَ شِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ لِّفُصَّلَتْ [44]

وَ قَالَ {وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَزَدَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} وَأَمَّا الَّذِينَ

فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ [التوبة] ﴿٨٢﴾

(وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ)

هذه طبيعة الإنسان من حيث هو إلا من هداه الله فإن الإنسان-عند إنعام الله عليه- يفرح بالنعم و يبطر بها و يعرض

(وَنَآءٍ بِجَانِبِهِ) و ينأى بجانبه عن ربه فلا يشكره و لا يذكره

كَقَوْلِهِ { فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ صُورَهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسٍّ } [يُونُس: 12]

(وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ) كالمرض و نحوه

(كَأَن يَتُوسَّ) من الخير قد قطع ربه رجاءه و ظن أن ما هو فيه دائم أبداً.

\* و أما من هداه الله فإنه- عند النعم - يخضع لربه و يشكر نعمته و عند الضراء يتضرع و يرجو من الله عافيته و إزالة ما يقع فيه و بذلك يخف عليه البلاء ﴿٨٣﴾

(قُلْ كُلٌّ) من الناس (يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ)

على ما يليق به من الأحوال إن كان من الصفوة الأبرار لم يشاكلهم إلا عملهم لرب العالمين. و من كان من غيرهم من المخدولين لم يناسبهم إلا العمل للمخلوقين و لم يوافقهم إلا ما وافق أغراضهم.

\* عَلَىٰ نَاحِيَّتِهِ - عَلَىٰ حَدِّتِهِ وَ طَبِيعَتِهِ - عَلَىٰ نِيَّتِهِ - دِينِهِ.

وَ هَذِهِ الْآيَةُ - وَ اللَّهُ أَعْلَمُ - تَهْدِيدٌ لِلْمُشْرِكِينَ وَ وَعِيدٌ لَهُمْ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:-

{ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ااعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ } وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ { [هُود] وَ لِهَذَا قَالَ:-

{ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَن هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا } أَيْ:-

مِنَّا وَ مِنْكُمْ وَ سَيَجْزِي كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ فَإِنَّهُ لَا تَخْفَىٰ عَلَيْهِ خَافِيَةٌ.

(فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَن هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا) فيعلم من يصلح للهداية فيهديه و من لا يصلح لها فيخذله و لا يهديه.

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ) ما حقيقتها

البخارى 4721 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: بَيْنَا أَنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرْثٍ (زراعة أي أرض مزروعة) وَ هُوَ مُتَّكِئٌ عَلَىٰ عَسِيبٍ إِذْ مَرَّ الْيَهُودُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ:- سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ فَقَالَ: مَا رَأَيْتُمْ إِلَيْهِ؟

(بصيغة الماضي من الريب وذكره في [النهاية] بضم الباء (ما رأيكم إليه) أي ما رأيكم وحاجتكم إلى سؤاله وفي نسخة (ما رأيكم) أي فكركم. و في العيني قال الخطابي الصواب

(ما رأيكم) أي ما حاجتكم) وَ قَالَ بَعْضُهُمْ:- لَا يَسْتَقْبِلُكُمْ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ فَقَالُوا: سَلُوهُ فَسَأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ

فَأَمْسَكَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ شَيْئًا فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُوحَىٰ إِلَيْهِ فَقُمْتُ مَقَامِي فَلَمَّا نَزَلَ الْوَحْيُ قَالَ:-

أَوْسَأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا [الإسراء: 85]

\* و هذا متضمن لردع من يسأل المسائل التي لا يقصد بها إلا التعنت و التعجيز و يدع السؤال عن المهم فيسألون عن الروح التي هي من الأمور الخفية التي لا يتقن وصفها و كيفيتها كل أحد و هم قاصرون في العلم الذي يحتاج إليه العباد. و لهذا أمر الله رسوله أن يجيب سؤالهم بقوله:-

(قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ) مما استأثر الله تعالى بعلمه أي:-

من جملة مخلوقاته التي أمرها أن تكون فكانت فليس في السؤال عنها كبير فائدة مع عدم علمكم بغيرها.

(وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)

و في هذه الآية:-

دليل على أن المسؤول إذا سئل عن أمر الأولى بالسائل غيره أن يعرض عن جوابه و يدلله على ما يحتاج إليه و يرشده إلى ما ينفعه.

\*الصحيح المسمى من أسباب النزول: البخاري 125 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:-

بَيْنَا أَنَا أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي خَرْبِ الْمَدِينَةِ (أماكن خربة منها والخرب ضد العامر) وَهُوَ يَتَوَكَّأُ (يعتمد) عَلَى عَسِيبٍ (عصا من جريد النخل) مَعَهُ فَمَرَّ بِنَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ (ما حقيقتها)؟ وَ قَالَ بَعْضُهُمْ:-

لَا تَسْأَلُوهُ لَا يَجِيءُ فِيهِ شَيْءٌ تَكْرَهُونَهُ (خشية أن يوحى إليه بشيء تكرهونه فيجيئكم به)

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَنَسْأَلَنَّهُ فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ مَا الرُّوحُ؟

فَسَكَتَ فَقُلْتُ: إِنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ فَقُمْتُ (حائلا بينه وبينهم) فَلَمَّا انْجَلَى عَنْهُ (ذهب عنه ما يصيبه من حال الوحي)

قَالَ: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتُوا مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا

قَالَ الْأَعْمَشُ: هَكَذَا فِي قِرَاءَتِنَا (أى (أوتوا) و هى قراءة شاذة و المتواترة (أوتيتهم) [الإسراء 85]) ﴿٨٥﴾

( وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ ) لنمحو من قلبك (بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) من القرآن. لقدَرنا على ذلك

( ثُمَّ لَا يَجِدُ لَكَ ) لنفسك (بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ) ناصرًا يمنعنا من فعل ذلك أو يرد عليك القرآن ﴿٨٦﴾

تحدى الله للمشركين و الرد على شبهاتهم 111-86

إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ ذُخْرٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُفَيْكَ حَتَّىٰ تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾ قُلْ لَوْ كُنْتُ فِي الْأَرْضِ مَلَكًا يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾

(إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ) يخبر تعالى أن القرآن و الوحي الذى أوحاه إلى رسوله رحمة منه عليه و على عباده

(إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا)

و هو أكبر النعم على الإطلاق على رسوله فإن فضل الله عليه كبير لا يقادر قدره. فالذى تفضل به عليك قادر على أن يذهب به ثم لا تجد رادًا يردده و لا وكيلا يتوجه عند الله فيه. فلتغبط به و تقر به عينك و لا يحزنك تكذيب المكذبين و استهزاء الضالين فإنهم عرضت عليهم أجل النعم فردوها لهوانهم على الله و خذلانه لهم ﴿٨٧﴾

( قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ )

و هذا دليل قاطع و برهان ساطع على صحة ما جاء به الرسول و صدقه حيث تحدى الله الإنس و الجن

( لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ) أن يأتوا بمثله و أخبر أنهم لا يأتون بمثله

( وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ) و لو تعاونوا كلهم على ذلك لم يقدرُوا عليه.

\* و وقع كما أخبر الله فإن دواعى أعدائه المكذبين به متوفرة على رد ما جاء به بأى وجه كان و هم أهل اللسان و الفصاحة

فلو كان عندهم أدنى تأهل و تمكن من ذلك لفعلوه.

فعلم بذلك أنهم أذعنوا غاية الإذعان طوعاً و كرهاً و عجزوا عن معارضته.

و كيف يقدر المخلوق من تراب الناقص من جميع الوجوه الذى ليس له علم و لا قدرة و لا إرادة و لا مشيئة و لا كلام و لا كمال إلا من ربه أن يعارض كلام رب الأرض و السماوات المطلع على سائر الخفيات الذى له الكمال المطلق و الحمد المطلق و المجد العظيم الذى لو أن البحر يمدّه من بعده سبعة أبحر مداً و الأشجار كلها أقلام لنفذ المداد و فئت الأقلام و لم تنفذ كلمات الله.

فكما أنه ليس أحد من المخلوقين مماثلاً لله فى أوصافه فكلامه من أوصافه التى لا يماثله فيها أحد فليس كمثله شىء فى ذاته و أسمائه و صفاته و أفعاله تبارك و تعالى.

فتباً لمن اشتبه عليه كلام الخالق بكلام المخلوق و زعم أن محمداً ﷺ افتراه على الله و اختلقه من نفسه ﴿٨٨﴾

(وَلَقَدْ صَرَّفْنَا) نوعنا (لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ)

(مِنْ كُلِّ مَثَلٍ) من المواعظ و الأمثال و ثبنا فيه المعانى التى يضطر إليها العباد لأجل أن يتذكروا و يتقوا

فلم يتذكر إلا القليل منهم الذين سبقت لهم من الله سابقة السعادة و أعانهم الله بتوفيقه

(فَأَبَاقُ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا) و أما أكثر الناس فأبوا إلا كفوراً لهذه النعمة التى هى أكبر من جميع النعم

و جعلوا يعتنون عليه باقتراح آيات غير آياته يخترعونها من تلقاء أنفسهم الظالمة الجاهلة 89

فيقولون لرسول الله ﷺ الذى أتى بهذا القرآن المشتمل على كل برهان و آية:-

(وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا) أنهاراً جارية.

( أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ) فتستغنى بها عن المشى فى الأسواق و الذهاب و المجيء

\* وَ ذَلِكَ سَهْلٌ يَّسِيرٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى لَوْ شَاءَ لَفَعَلَهُ وَ لَأَجَابَهُمْ إِلَى جَمِيعِ مَا سَأَلُوا وَ طَلَبُوا وَ لَكِنْ عَلِمَ أَنَّهُمْ

لَا يَهْتَدُونَ كَمَا قَالَ {إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ} 90 وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ [يُونُس]

وَ قَالَ {وَلَوْ أَنَّنَا نَزَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ

[الأنعام: 111]

(فَتَفْجُرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا) و تجعل الأنهار تجرى فى وسطها بغزارة 91

( أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا) أى:- قطعاً من العذاب

\* أَنَّكَ وَعَدْتَنَا أَنْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَنْشَقُّ فِيهِ السَّمَاءُ وَ تَهَى وَ تَدَلَّى أَطْرَافُهَا فَعَجَّلَ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا وَ أَسْقِطَهَا كِسْفًا

أَي: قِطْعًا كَقَوْلِهِمْ: {اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ارْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ [الأنفال: 32]

وَ كَذَلِكَ سَأَلَ قَوْمٌ شَعِيبَ مِنْهُ فَقَالُوا: {أَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} [الشعراء: 187] .

فَعَاقَبَهُمُ الرَّبُّ بِعَذَابٍ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ.

\*وَأَمَّا نَبِيُّ الرَّحْمَةِ وَ نَبِيُّ التَّوْبَةِ الْمَبْعُوثُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ فَسَأَلَ إِنظَارَهُمْ وَ تَأْجِيلَهُمْ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُخْرِجَ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا. وَ كَذَلِكَ وَقَعَ فَإِنَّ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذُكِرُوا مَنْ أَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ وَ حَسُنَ إِسْلَامُهُ حَتَّى "عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ" ( ) الَّذِي تَبِعَ النَّبِيَّ ﷺ وَ قَالَ لَهُ مَا قَالَ أَسْلَمَ إِسْلَامًا تَامًا وَ أَنَابَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

(أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا) أى: جميعاً أو مقابلة و معاينة يشهدون لك بما جئت به 92

(أَوْ يَكُونُ لَكَ يَتٌ مِّنْ زُخْرٍ) مزخرف بالذهب و غيره

(أَوْ تَرَفَّى فِي السَّمَاءِ) رقيًا حسيًا (و) مع هذا (وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ)

\* قَالَ مُجَاهِدٌ: أَيُّ مَكْتُوبٍ فِيهِ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ وَاحِدٍ صَحِيفَةٌ:-

هَذَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ لِفُلَانٍ بِنِ فُلَانٍ تَصْبِحُ مَوْضُوعَةً عِنْدَ رَأْسِهِ

\* و لما كانت هذه تعنتات و تعجيزات و كلام أسفه الناس و أظلمهم المتضمنة لرد الحق وسوء الأدب مع الله و أن الرسول ﷺ هو الذى يأتي بالآيات أمره الله أن ينزله فقال:-

(قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ)

عما تقولون علواً كبيراً و سبحانه أن تكون أحكامه و آياته تابعة لأهوائهم الفاسدة و آرائهم الضالة.

(هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا) ليس بيده شيء من الأمر.

\* سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى وَ تَقَدَّسَ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَحَدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ سُلْطَانِهِ وَ مَلَكُوتِهِ بَلْ هُوَ الْفَعَالُ لِمَا يَشَاءُ إِنْ شَاءَ أَجَابَكُمْ إِلَى مَا سَأَلْتُمْ وَ إِنْ شَاءَ لَمْ يُجِبْكُمْ وَ مَا أَنَا إِلَّا رَسُولٌ إِلَيْكُمْ أُبْلِغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي

وَ أَنْصَحُ لَكُمْ وَ قَدْ فَعَلْتُ ذَلِكَ وَ أَمْرُكُمْ فِيمَا سَأَلْتُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ 93

( وَمَا مَعَ النَّاسِ ) أكثرهم ( أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا )

و هذا السبب الذى منع أكثر الناس من الإيمان حيث كانت الرسل التى ترسل إليهم من جنسهم بشرًا.

و هذا من رحمته بهم أن أرسل إليهم بشرًا منهم فإنهم لا يطيقون التلقى من الملائكة.

\* وَ يَتَابِعُوا الرُّسُلَ إِلَّا اسْتَعْجَابُهُمْ مِنْ بَعْثَتِهِ الْبَشَرَ رُسُلًا كَمَا قَالَ:-

{ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا } [يُونُس: 2]

\* وَ قَالَ { ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمُ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ } [التغابن: 6]

وَ قَالَ فِرْعَوْنُ وَ مَلُؤُهُ: { أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ } [الْمُؤْمِنُونَ: 47]

وَ كَذَلِكَ قَالَتِ الْأُمَمُ لِرُسُلِهِمْ:-

معجم الصحابة للبغوى: عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم أخو أم سلمة-زوج النبي ﷺ-سكن المدينة و روى عن النبي ﷺ حديثا. معرفة الصحابة لأبي نعيم: عبد الله بن أبي أمية المخزومي أخو أم سلمة إسلامه عام الفتح وقيل:- يوم الطائف و اسم أبي أمية:- حذيفة بن المغيرة أمه: عاتكة بنت عبد المطلب رمى يوم الطائف رمية فمات شهيداً



﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأُنْزِلْنَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾<sup>[10]</sup> **93**

(قُلْ) ف—(لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ) يشبتون على رؤية الملائكة و التلقى عنهم

(لَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا) ليمكنهم التلقى عنه **95**

(قُلْ) لهم (كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) على:- صدقي و حقيقة نبوتي

\* فمن شهادته لرسوله ما أيده به من المعجزات و ما أنزل عليه من الآيات و نصره على من عاداه و ناوأه.

\* يَقُولُ تَعَالَى مُرْشِدًا نَبِيَّهُ إِلَى الْحُجَّةِ عَلَى قَوْمِهِ فِي صَدَقِ مَا جَاءَهُمْ بِهِ:-

أَنَّهُ شَاهِدٌ عَلَىَّ وَ عَلَىكُمْ عَالِمٌ مِمَّا جِئْتُكُمْ بِهِ فَلَوْ كُنْتُ كَاذِبًا عَلَيْهِ انْتَقَمَ مِنِّي أَشَدَّ الْإِنْتِقَامِ

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ 44 لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ 45 ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ 46} [الْحَاقَّة]

(إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا) فإنه خبير بصير لا تخفى عليه من أحوال العباد خافية.

\* عَلِيمٌ بِهِمْ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ الْإِنْعَامَ وَ الْإِحْسَانَ وَ الْهِدَايَةَ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ الشَّقَاءَ وَ الْإِضْلَالَ وَ الْإِرَاغَةَ **96**

.....

يخبر تعالى أنه المنفرد بالهداية و الإضلال:-

(زِدْنَهُمْ سَعِيرًا)

سعرناها بهم لا يفتروا عنهم العذاب و لا يقضى عليهم فيموتوا و لا يخفف عنهم من عذابها و لم يظلمهم الله 97

(ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِعَايِنِنَا)

بل جازاهم بما كفروا بآياته و أنكروا البعث الذى أخبرت به الرسل و نطقت به الكتب و عجزوا ربهم و أنكروا تمام قدرته.

(وَقَالُوا أَيْذَا كُنَّا عِظَمًا وَرُفْتًا) بالية نخرة

(أَوَنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا) لا يكون هذا لأنه في غاية البعد عن عقولهم الفاسدة.

\*بَعْدَ مَا صِرْنَا إِلَى مَا صِرْنَا إِلَيْهِ مِنَ الْبَلَى وَ الْهَلَاكِ وَ التَّفَرُّقِ وَ الذَّهَابِ فِي الْأَرْضِ نَعَادُ مَرَّةً ثَانِيَةً؟ فَاحْتَجَّ تَعَالَى عَلَيْهِمْ وَ نَبَّهَهُمْ عَلَى قُدْرَتِهِ عَلَى ذَلِكَ بِأَنَّهُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ فَقُدِّرَتْهُ عَلَى إِعَادَتِهِمْ أَسْهَلُ مِنْ ذَلِكَ كَمَا قَالَ:- {لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ} [غَافِرٍ: 57] وَ قَالَ {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغْيِ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُخَيِّجَ الْمُتَوَكِّلِينَ} إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [الْأَحْقَافِ: 33] وَ قَالَ {أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ} 81 إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ 82 فَسُبْحَانَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [يس] 98

(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) و هى أكبر من خلق الناس.

(قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ) بلى إنه على ذلك قدير

(وَ) لكنه قد (وَجَعَلَ) لذلك

(لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ) و لا شك و إلا فلو شاء لجاءهم به بغتة و مع إقامته الحجج و الأدلة على البعث.

(فَأَبَى الظَّالِمُونَ) ظلماً منهم و افتراء. بعد قيام الحجة عليهم

(إِلَّا كُفُورًا) إلا تماديا في باطلهم و ضلالهم 99

(قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي) التى لا تنفذ و لا تبديد.

(إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ) أى: خشية أن ينفد ما تنفقون منه مع أنه من المحال أن تنفذ خزائن الله

حوار بين موسى و فرعون 101-104

(وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا) و لكن الإنسان مطبوع على الشح و البخل 100

(وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى) أى: لست أيها الرسول المؤيد بالآيات أول رسول كذبه الناس فلقد أرسلنا قبلك موسى بن

عمران الكليم إلى فرعون و قومه و آتيناه

(فَسِعَ ءَايَتِي بَيْنَتِي) كل واحدة منها تكفى لمن قصده اتباع الحق ك:-

الحية و العصا و الطوفان و الجراد و القمل و الضفادع و الدم و الرجز و فلق البحر .

فإن شككت فى شىء من ذلك (فَسَتَلَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُمُ فِرْعَوْنُ) مع هذه الآيات

(إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا) أى ساحرا

\* وَ قَدْ أُوتِيَ مُوسَى الْآيَاتِ أَخْرَ كَثِيرَةً مِنْهَا ضَرْبُهُ الْحَجَرَ بِالْعَصَا وَ خُرُوجُ الْأَنْهَارِ مِنْهُ وَ مِنْهَا تَظْلِيلُهُمْ بِالْغَمَامِ وَ أَنْزَالُ الْمَنَّ وَ السَّلْوَى وَ غَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا أُوتُوهُ بَنُو إِسْرَءِيلَ بَعْدَ مُفَارَقَتِهِمْ بِلَادَ مِصْرَ وَ لَكِنْ ذَكَرَ هَاهُنَا التَّسْعَ الْآيَاتِ الَّتِي شَاهَدَهَا فِرْعَوْنُ وَ قَوْمُهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ وَ كَانَتْ حُجَّةً عَلَيْهِمْ فَخَالَفُوهَا وَ عَانَدُوهَا كُفْرًا وَ جُحُودًا<sup>101</sup>

فـ ( قَالَ ) له موسى (لَقَدْ عَلِمْتُ) يا فرعون (مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ) (الآيات

(إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ) حُجَجًا وَ أَدِلَّةً عَلَى صِدْقِ مَا جِئْتُكَ بِهِ

\* منه لعباده فليس قولك هذا بالحقيقة و إنما قلت ذلك ترويجًا على قومك و استخفافًا لهم .

(وَلِإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا) أى: ممقوتًا ملقى فى العذاب لك الويل و الدم و اللعنة<sup>102</sup>

( فَأَرَادَ ) فرعون ( أَنْ يَسْتَفْرِزَهُمْ ) يَجْلِيهِمْ و يخرجهم (مِّنَ الْأَرْضِ)

(فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا) و أورثنا بنى إسرائيل أرضهم و ديارهم .

\* وَ فِي هَذَا بَشَارَةً لِّمُحَمَّدٍ ﷺ بِفَتْحِ مَكَّةَ مَعَ أَنَّ السُّورَةَ نَزَلَتْ قَبْلَ الْهِجْرَةِ وَ كَذَلِكَ وَقَعَ فَإِنَّ أَهْلَ مَكَّةَ هَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ مِنْهَا كَمَا قَالَ {وَأِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا} 79 سُنَّةً مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا [الإسراء]

وَ لِهَذَا أَوْرَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ مَكَّةَ فَدَخَلَهَا عُنُودٌ عَلَى أَشْهَرِ الْقَوْلَيْنِ وَ قَهَرَ أَهْلَهَا ثُمَّ أَطْلَقَهُمْ حِلْمًا وَ كَرَمًا كَمَا أَوْرَثَ اللَّهُ الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَ مَغَارِبَهَا وَ أَوْرَثَهُمْ بِلَادَ فِرْعَوْنَ

وَ أَمْوَالَهُمْ وَ زُرُوعَهُمْ وَ ثَمَارَهُمْ وَ كُنُوزَهُمْ كَمَا قَالَ :- {كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ} [الشُّعْرَاءُ: 59] <sup>103</sup>

و لهذا قال :-

( وَ قُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ) جميعًا ليجازى كل عامل بعمله<sup>104</sup>

وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْزَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

### 18-سورة الكهف-مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾ قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَكَثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾

(وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ) هذا القرآن الكريم متضمن لأمر العباد و نهيمهم و ثوابهم و عقابهم كما قال:-

{لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ [النساء: 166] أَيْ:-

مُتَضَمِّنًا عِلْمَ اللَّهِ الَّذِي أَرَادَ أَنْ يُطْلِعَكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَحْكَامِهِ وَ أَمْرِهِ وَ نَهْيِهِ.

#### نزول القرآن مفردا 105-109

(وَبِالْحَقِّ نَزَلَ) بالصدق و العدل و الحفظ من كل شيطان رجيم

\*لَمْ يُشَبَّ بِغَيْرِهِ وَ لَا زِيدَ فِيهِ وَ لَا نُقِصَ مِنْهُ بَلْ وَصَلَ إِلَيْكَ بِالْحَقِّ فَإِنَّهُ نَزَلَ بِهِ شَدِيدُ الْقُوَى الْقَوَى الْأَمِينُ الْمَكِينُ الْمُطَاعُ فِي الْمَلَا الْأَعْلَى.

(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا) من أطاع الله بالثواب العاجل و الآجل

(وَنَذِيرًا) لمن عصى الله بالعقاب العاجل و الآجل و يلزم من ذلك بيان ما بشر به و أُنذر ﴿١٠٥﴾

(وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ) أى: و أنزلنا هذا القرآن مفردًا فارقًا بين الهدى و الضلال و الحق و الباطل.

\*فَصَلَّنَاهُ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ مِنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا ثُمَّ نَزَلَ مُفْرَقًا مُنْجَمًا عَلَى الْوَقَائِعِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي ثَلَاثٍ وَ عِشْرِينَ سَنَةً.

(لِنَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ) على مهل ليتدبروه و يتفكروا فى معانيه و يستخرجوا علومه.

(وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا) أى: شيئًا فشيئًا مفردًا فى ثلاث و عشرين سنة (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا

فإذا تبين أنه الحق الذى لا شك فيه و لا ريب بوجه من الوجوه ﴿١٠٦﴾



ف—(قُلْ) لمن كذب به و أعرض عنه:-

(ءَامِنُوا بِهِ<sup>١٠٧</sup> أَوْ لَا تُؤْمِنُوا) فليس لله حاجة فيكم و لستم بضاربه شيئاً و إنما ضرر ذلك عليكم

(إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ) فإن لله عبادة غيركم و هم الذين آتاهم الله العلم النافع:-

(إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ) جَمْعُ ذَقْنٍ وَ هُوَ أَسْفَلُ الْوَجْهِ

(سُجَّدًا) على وجوههم و من سجد على وجهه فقد خرَّ على ذقنه ساجداً أى:-

يتأثرون به غاية التأثير و يخضعون له ﴿١٠٧﴾

(وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا) عما لا يليق بجلاله مما نسبته إليه المشركون.

(إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا) بالبعث و الجزاء بالأعمال

(لَمَفْعُولًا) لا خلف فيه و لا شك ﴿١٠٨﴾

(وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ) على وجوههم-عَطْفٌ صِفَةٌ عَلَى صِفَةٍ لَا عَطْفٌ سُجُودٍ عَلَى سُجُودٍ

(يَبْكُونَ) خُضُوعًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ إِيْمَانًا وَ تَصَدِيقًا بِكِتَابِهِ وَ رَسُولِهِ

(وَيَزِيدُهُمْ) القرآن (خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾) وَ يَزِيدُهُمُ اللَّهُ خُشُوعًا أَيْ: إِيْمَانًا وَ تَسْلِيمًا كَمَا قَالَ:-

{وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} [مُحَمَّدٍ: 17]

\* و هؤلاء كالذين من الله عليهم من مؤمنى أهل الكتاب كعبد الله بن سلام و غيره ممن آمن فى وقت النبى ﷺ

و بعد ذلك ﴿١١٠﴾

دعاء الله بأسمائه و حمده على وحدانيته 110-111

بقول تعالى لعباده:- (قُلْ) أيهما شئتم

قل-أيها الرسول-لمشركى قومك الذين أنكروا عليك الدعاء بقولك:-يا الله يا رحمن

(ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ) فبأى أسمائه دعوتموه فإنكم تدعون رباً واحداً

(أَيُّ مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) لأن أسمائه كلها حسنى

أى: ليس له اسم غير حسن أى: حتى ينهى عن دعائه به أى: اسم دعوتموه به حصل به المقصود

و الذى ينبغى أن يدعى فى كل مطلوب مما يناسب ذلك الاسم. كَمَا قَالَ {هُوَ اللَّهُ الَّذِى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ

وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} إِلَى أَنْ قَالَ: {لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى 22 يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ 23 وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الحشر]

(وَلَا تَجْهَرْ) ترفع صوتك أكثر مما يحتاج إليه (بِصَلَاتِكَ) قراءتك

\* البخارى 4723 - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «أُنْزِلَ ذَلِكَ فِي الدُّعَاءِ» (إشارة إلى قوله تعالى {ولا تجهر بصلاتك})

(وَلَا تُخَافُتْ) (تسر بها) فإن فى كل من الأمرين محذوراً.

أما الجهر فإن المشركين المكذبين به إذا سمعوه سبوه و سبوا من جاء به.

و أما المخافتة فإنه لا يحصل المقصود لمن أراد استماعه مع الإخفاء

(وَابْتَغِ) اقصد (بَيْنَ ذَلِكَ) أى: بين الجهر و الإخفات

(سَبِيلًا) أى: تتوسط فيما بينهما (طريقا وسطا معتدلا)

\*الصحيح المسند من أسباب النزول: البخارى 4722 - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

{وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتْ بِهَا} [الإسراء: 110] قَالَ:-

نَزَلَتْ وَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُخْتَفٍ بِمَكَّةَ كَانَ إِذَا صَلَّى بِأَصْحَابِهِ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ

فَإِذَا سَمِعَهُ الْمُشْرِكُونَ سَبُّوا الْقُرْآنَ وَ مَنْ أَنْزَلَهُ وَ مَنْ جَاءَ بِهِ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ:-

{وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ} [الإسراء: 110] أَيْ بِقِرَاءَتِكَ فَيَسْمَعُ الْمُشْرِكُونَ فَيَسُبُّوا الْقُرْآنَ {وَلَا تُخَافُتْ بِهَا} [الإسراء: 110] عَنْ أَصْحَابِكَ

فَلَا تَسْمِعُهُمْ {وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا} [الإسراء: 110] ﴿١١٠﴾

( وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ) له الكمال و الشاء و الحمد و المجد من جميع الوجوه المنزه عن كل آفة و نقص.

( الَّذِي لَمْ يَنْخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ )

بل الملك كله لله الواحد القهار فالعالم العلوى و السفلى كلهم مملوكون لله ليس لأحد من الملك شىء.

(وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ) أى: لا يتولى أحدًا من خلقه ليتعزز به و يعاونه فإنه الغنى الحميد الذى لا يحتاج إلى

أحد من المخلوقات فى الأرض و لا فى السماوات و لكنه يتخذ أولياء إحسانًا منه إليهم و رحمة بهم

(اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)

(وَكَبِيرَةٌ تَبْكِيًا)

عظمه و أجله بالإخبار بأوصافه العظيمة و بالشاء عليه بأسمائه الحسنى و بتمجيده بأفعاله المقدسة

و بتعظيمه و إجلاله بعبادته وحده لا شريك له و إخلاص الدين كله له ﴿١١١﴾

## 18-تفسير سورة الكهف-مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

\*البخارى 3614 عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَرَأَ رَجُلٌ الْكَهْفَ وَ فِي الدَّارِ الدَّابَّةُ فَجَعَلَتْ تَنْفِرُ فَسَلَّمَ

فَإِذَا ضَبَابَةٌ أَوْ سَحَابَةٌ غَشِيَتْهُ فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «اقْرَأْ فَلَانُ فَإِنَّهَا السَّكِينَةُ نَزَلَتْ لِلْقُرْآنِ أَوْ تَنَزَّلَتْ لِلْقُرْآنِ»

\*مسلم (809) عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:-

«مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ»

\*صحيح الترغيب و الترهيب 736 - (صحيح) عن أبي سعيد الخدرى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:-

من قرأ سورة الكهف فى يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين

(الْحَمْدُ لِلَّهِ) هو الشاء عليه بصفاته التى هى كلها صفات كمال و بنعمه الظاهرة و الباطنة الدينية و الدنيوية

(الَّذِى أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ) و أجل نعمه على الإطلاق:-

الحمد لله و التبشير و الانذار 8-1

إنزاله الكتاب العظيم على عبده و رسوله محمد ﷺ فحمد نفسه

و فى ضمنه إرشاد العباد ليحمدوه على إرسال الرسول إليهم و إنزال الكتاب عليهم

ثم وصف هذا الكتاب بوصفين مشتملين:- على أنه الكامل من جميع الوجوه

(وَلَمْ يَجْعَلْ لَّهُ عِوَجًا) و هما نفى العوج عنه

نفى العوج:- يقتضى أنه ليس فى أخباره كذب و لا فى أوامره و نواهيه ظلم و لا عبث ①

(قِيَمًا) و إثبات أنه قيم مستقيم و إثبات الاستقامة:-

يقتضى أنه لا يخبر و لا يأمر إلا بأجل الإخبارات و هى الأخبار التى تملأ القلوب معرفة و إيماناً و عقلاً ك:-

الإخبار بأسماء الله و صفاته و أفعاله ومنها الغيوب المتقدمة والمتأخرة

و أن أوامره و نواهيه تركى النفوس و تطهرها و تنميتها و تكملها لاشتمالها على:-

كمال العدل و القسط و الإخلاص و العبودية لله رب العالمين وحده لا شريك له.

و حقيق بكتاب موصوف. بما ذكر أن يحمد الله نفسه على إنزاله و أن يتمدح إلى عباده به.

(لِيُنْذِرَ) بهذا القرآن الكريم (بَأْسًا شَدِيدًا) عقابه (مَنْ لَّدُنْهُ) من عنده أى:-

قدره و قضاه على من خالف أمره و هذا يشمل عقاب الدنيا و عقاب الآخرة

و هذا أيضا من نعمه أن خوف عباده و أنذرهم ما يضرهم و يهلكهم.

كما قال تعالى-لما ذكر فى هذا القرآن وصف النار-قال:- (ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَ فَاَتَّقُوا)

فمن رحمته بعباده أن قيص العقوبات الغليظة على من خالف أمره و بينها لهم و بين لهم الأسباب الموصلة

إليها.

(وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ)

و أنزل الله على عبده الكتاب ليبشر المؤمنين به و برسله و كتبه الذين كمل إيمانهم فأوجب لهم عمل

الصالحات و هى:- الأعمال الصالحة من واجب و مستحب التى جمعت:- الإخلاص و المتابعة

(أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا)

و هو الثواب الذى رتبته الله على الإيمان و العمل الصالح و أعظمه و أجله:- الفوز برضا الله

و دخول الجنة التى فيها ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر.

و فى وصفه بالحسن:-

دلالة على أنه لا مكدر فيه و لا منغص بوجه من الوجوه إذ لو وجد فيه شىء من ذلك لم يكن حسنه تاما.

و مع ذلك فهذا الأجر الحسن ②

(مَكِينِينَ فِيهِ أَبَدًا) لا يزول عنهم و لا يزولون عنه بل نعيمهم فى كل وقت متزايد

و فى ذكر التبشير ما يقتضى ذكر الأعمال الموجبة للمبشر به و هو أن هذا القرآن قد اشتمل على كل عمل

صالح موصل لما تستبشر به النفوس و تفرح به الأرواح ﴿٣﴾

(وَمُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا)

من اليهود و النصارى و المشركين الذين قالوا هذه المقالة الشنيعة فإنهم لم يقولوها عن علم و لا يقين لا علم

منهم و لا علم من آبائهم الذين قلدوهم و اتبعوهم بل إن يتبعون إلا الظن و ما تهوى الأنفس ﴿٤﴾

مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾  
 فَلَعَلَّكَ بَمِخْلٍ خِشَعٍ تَفْسِكُ عَلَيْهَا زُرُوعُهمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ  
 زِينَةً لِّمَنَّا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾  
 أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ  
 فَقَالُوا رَبَّنَا ءَاتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرْبَنَا عَلَى ءَاذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ  
 سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿١٢﴾  
 نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ  
 إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ ءِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾  
 هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءِلَهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ  
 فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾

(مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ) (أَسْلَافِهِمْ).

(كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ) أى: عظمت شناعتها و اشتدت عقوبتها

و أى شناعة أعظم من وصفه بالاتخاذ للولد الذى يقتضى:-

1-نقصه 2-و مشاركة غيره له في خصائص الربوبية و الإلهية 3-و الكذب عليه؟

(فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا)

\*لَيْسَ لَهَا مُسْتَنْدٌ سِوَى قَوْلِهِمْ وَ لَا دَلِيلَ لَهُمْ عَلَيْهَا إِلَّا كَذِبُهُمْ وَ افْتِرَاؤُهُمْ

و لهذا قال هنا: (إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا) أى: كذبا محضا ما فيه من الصدق شىء و تأمل كيف أبطل هذا القول

بالتدرج و الانتقال من شىء إلى أبطل منه فأخبر:-

أولا:- أنه (مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ) و القول على الله بلا علم لا شك فى منعه و بطلانه

ثانيا:- أنه قول قبيح شنيع فقال:- (كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ)

ثالث:- مرتبته من القبح و هو: الكذب المنافى للصدق.

و لما كان النبى ﷺ حريصا على هداية الخلق ساعيا فى ذلك أعظم السعى فكان ﷺ:-

يفرح و يسر بهداية المهتدين و يحزن و يأسف على المكذبين الضالين شفقة منه ﷺ عليهم و رحمة بهم

أرشده الله أن لا يشغل نفسه بالأسف على هؤلاء الذين لا يؤمنون بهذا القرآن كما قال فى الآية الأخرى:-

{لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَنْ لَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} كَمَا قَالَ {فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ} [فَاطِمَةُ: 8]

وَقَالَ {وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ} [النُّحْلُ: 127] وَقَالَ {لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} [الشُّعَرَاءُ: 3] 5

و هنا قال (فَلَمَّا لَكَ بَاخِعٌ) مهلك (نَفْسَكَ) غما

(عَلَى أَثَرِهِمْ) على أثر تولى قومك و إعراضهم عنك

{إِنْ لَمْ يَأْمُرُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أُسْفًا} غَضَبًا وَ حُزْنًا جَزَعًا عَلَيْهِمْ

أَي: لَا تَأْسَفْ عَلَيْهِمْ بَلْ أَبْلِغْهُمْ رِسَالَةَ اللَّهِ فَمَنْ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ.

\* و ذلك أن أجرك قد وجب على الله و هؤلاء لو علم الله فيهم خيرا لهداهم و لكنه علم أنهم لا يصلحون إلا للنار فلذلك خذلهم فلم يهتدوا فإشغالك نفسك غما و أسفا عليهم ليس فيه فائدة لك.

و في هذه الآية و نحوها عبرة: - فإن المأمور بدعاء الخلق إلى الله عليه

1- التبليغ و السعى بكل سبب يوصل إلى الهداية

2- و سد طرق الضلال و الغواية بغاية ما يمكنه مع التوكل على الله في ذلك فإن اهتدوا فيها و نعمت

و إلا فلا يحزن و لا يأسف فإن ذلك مضاعف للنفس هادم للقوى ليس فيه فائدة

بل يمضي على فعله الذي كلف به و توجه إليه و ما عدا ذلك فهو خارج عن قدرته

و إذا كان النبي ﷺ يقول الله له: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ}

و موسى عليه السلام يقول: - {رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي} الآية

فمن عداهم من باب أولى و أخرى قال تعالى: - {فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ \* لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ} 6

{إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا} جمالا لها و منفعة لأهلها

\* و مساكن طيبة و أشجار و أنهار و زروع و ثمار و مناظر بهيجة و رياض أنيقة و أصوات شجية و صور مليحة

و ذهب و فضة و خيل و إبل و نحوها

\* مسلم (2742) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: -

«إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوهٌ خَصِرَةٌ (يَحْتَمِلُ أَنْ الْمُرَادَ بِهِ شَيْئَانِ أَحَدُهُمَا حُسْنُهَا لِلنَّفُوسِ وَ نَضَارَتُهَا وَلَذَّتُهَا كَالْفَاكِهَةِ الْخَضِرَاءِ الْحُلُوهِ فَإِنَّ النَّفُوسَ تَطْلُبُهَا طَلِبًا حَثِيثًا فَكَذَا الدُّنْيَا

وَالثَّانِي سُرْعَةُ فَنَائِهَا كَالشَّيْءِ الْأَخْضَرِ فِي هَذَيْنِ الْوَصْفَيْنِ) وَ إِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا (أَي جَاعِلُكُمْ خُلَفَاءَ مِنَ الْقُرُونِ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ فَيَنْظُرُ هَلْ تَعْمَلُونَ بِطَاعَتِهِ

أَمْ بِمَعْصِيَتِهِ وَشَهَوَاتِهِمْ) فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَ اتَّقُوا النَّسَاءَ (هَكَذَا هُوَ فِي جَمِيعِ النُّسخِ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَ مَعْنَاهُ اجْتَنِبُوا الْإِفْتِنَاءَ بِهَا

وَالنِّسَاءَ وَتَدْخُلُ فِي النِّسَاءِ الزَّوْجَاتُ وَغَيْرُهُنَّ وَأَكْثَرُهُنَّ فِتْنَةُ الزَّوْجَاتِ لِدَوَامِ فِتْنَتِهِنَّ وَابْتِلَاءِ أَكْثَرِ النَّاسِ بِهِنَّ)

فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ» وَ فِي حَدِيثِ ابْنِ بَشَّارٍ: «لَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ»

(لِنَبْلُوهُمْ) الجميع جعله الله زينة لهذه الدار فتنة و اختبارا.

(أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) أي: أخلصه و أصوبه ﴿٧﴾



( وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا ) ترابًا ( جُرْزًا ) لا نبات فيه.

\*و مع ذلك سيجعل الله جميع هذه المذكورات فانية مضمحلة و زائلة منقضية.

و ستعود الأرض صعيدا جرزا قد ذهبت لذاتها و انقطعت أنهارها و اندرست آثارها و زال نعيمها

هذه حقيقة الدنيا قد جلاها الله لنا كأنها رأي عين و حذرنا من الاغترار بها و رغبتنا في دار يدوم نعيمها

و يسعد مقيمها كل ذلك رحمة بنا فاغتر بزخرف الدنيا و زينتها من نظر إلى ظاهر الدنيا دون باطنها

فصحبوا الدنيا صحبة البهائم و تمتعوا بها تمتع السوائم لا ينظرون في حق ربهم و لا يهتمون لمعرفته بل همهم

تناول الشهوات من أي وجه حصلت و على أي حالة اتفقت فهؤلاء إذا حضر أحدهم الموت قلق لخراب ذاته

و فوات لذاته لا لما قدمت يدها من التفریط و السيئات.

\*و أما من نظر إلى باطن الدنيا وعلم المقصود منها و منه:-

1- فإنه يتناول منها ما يستعين به على ما خلق له

2- و انتهاز الفرصة في عمره الشريف

3- فجعل الدنيا منزل عبور لا محل حبور و شقة سفر لا منزل إقامة

4- فبذل جهده في معرفة ربه و تنفيذ أوامره و إحسان العمل فهذا بأحسن المنازل عند الله و هو حقيق منه

بكل كرامة و نعيم و سرور و تكريم فنظر إلى باطن الدنيا حين نظر المغتر إلى ظاهرها و عمل لآخرته

حين عمل البطل لدنياه فشتان ما بين الفريقين و ما أبعد الفرق بين الطائفتين (٨)

#### قصة أصحاب الكهف 9-27

( أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ )

الكتاب الذي قد رقت فيه أسماؤهم و قصتهم لملازمتهم له دهرًا طويلا

( كَانُوا مِنْ ءَايَتِنَا عَجَبًا )

لا تظن أن قصة أصحاب الكهف و ما جرى لهم غريبة على آيات الله و بديعة في حكمته و أنه لا نظير لها و لا

مجانس لها

بل لله تعالى من الآيات العجيبة الغريبة ما هو كثير من جنس آياته في أصحاب الكهف و أعظم منها

فلم يزل الله يري عباده من الآيات في الآفاق و في أنفسهم ما يتبين به الحق من الباطل و الهدى من الضلال

و ليس المراد بهذا النفي أن تكون قصة أصحاب الكهف من العجائب بل هي من آيات الله العجيبة

و إنما المراد أن جنسها كثير جدا فالوقوف معها وحدها في مقام العجب و الاستغراب نقص في العلم و العقل

بل وظيفة المؤمن التفكير بجميع آيات الله التي دعا الله العباد إلى التفكير فيها فإنها مفتاح الإيمان و طريق العلم

والإيقان.

( كَانُوا مِنْ ءَايَتِنَا عَجَبًا ) و هذا الاستفهام بمعنى النفي و النهي.

و أضافهم إلى الكهف الذى هو الغار فى الجبل ﴿٩﴾

ثم ذكر قصتهم مجملة و فصلها بعد ذلك فقال:-

(إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ) أى: الشباب (إِلَى الْكَهْفِ) يريدون بذلك التحصن و التحرز من فتنة قومهم لهم

(فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً) أى تثبتنا بها و تحفظنا من الشر و توفقنا للخير

(وَهِيَئَ) يسر (لَنَا مِن أَمْرِنَا رَشَدًا) كل سبب موصل إلى الرشد و أصلح لنا أمر ديننا و دنيانا

فجمعوا بين السعى و الفرار من الفتنة إلى محل يمكن الاستخفاء فيه و بين تضرعهم و سؤالهم لله تيسير أمورهم

و عدم اتكالهم على أنفسهم و على الخلق ﴿١٠﴾

فلذلك استجاب الله دعاءهم و قيض لهم ما لم يكن فى حسابهم قال:-

( فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِم فِي الْكَهْفِ) أى أنمناهم

(سِنِينَ عَدَدًا) و هى ثلاث مائة سنة و تسع سنين

و فى النوم المذكور حفظ لقلوبهم من الاضطراب و الخوف و حفظ لهم من قومهم و ليكون آية بينة ﴿١١﴾

(ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ) من نومهم

(لِنَعْلَمَ) لنظهر للناس ما علمناه فى الأزل

(أَيُّ الْحَزْبَيْنِ) فتتميز أى الطائفتين المتنازعتين

(أَحْصَى) أضبط فى الإحصاء

(لَمَّا لَبِثُوا أَمَدًا) فى مدة لبثهم و هل لبثوا يومًا أو بعض يوم أو مدة طويلة؟

\* كما قال تعالى: (وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمُ الْآيَةَ

و فى العلم بمقدار لبثهم ضبط للحساب و معرفة لكمال قدرة الله تعالى و حكمته و رحمته فلو استمروا على

نومهم لم يحصل الاطلاع على شىء من ذلك من قصتهم ﴿١٢﴾

(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم) هذا شروع فى تفصيل قصتهم و أن الله يقصها على نبيه

(بِالْحَقِّ) و الصدق الذى ما فيه شك و لا شبهة بوجه من الوجوه

(إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ) و هذا من جموع القلة يدل ذلك على أنهم دون العشرة

(ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ) بالله وحده لا شريك له من دون قومهم فشكر الله لهم إيمانهم

(وَزِدْنَاهُمْ هُدًى) فزادهم هدى أى: بسبب أصل اهتدائهم إلى الإيمان زادهم الله من الهدى الذى هو العلم

النافع و العمل الصالح كما قال تعالى:- (وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى)

\*اسْتَدَلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ وَ أَمْثَالِهَا غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْأُمَمَةِ كَالْبُخَارِيِّ وَ غَيْرِهِ مِمَّنْ ذَهَبَ إِلَى زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَ تَفَاضُلِهِ وَ أَنَّهُ يَزِيدُ وَ يَنْقُصُ وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {وَزِدْنَاهُمْ هُدًى} كَمَا قَالَ {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} [مُحَمَّدٍ: 17] وَ قَالَ: {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَزَدْتُهُمْ إِيمَانًا} [التَّوْبَةِ: 124] وَ قَالَ {لِيَزِدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ} [الْفَتْحِ: 4] ﴿١٣﴾

( وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ ) صبرناهم و ثبتناهم و جعلنا قلوبهم مطمئنة في تلك الحالة المزعجة

\* و هذا من لطفه تعالى بهم و بره أن وفقهم لـ: - لإيمان و الهدى و الصبر و الثبات و الطمأنينة.

(إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) الذى خلقنا و رزقنا و دبرنا و ربانا هو خالق السماوات و الأرض

المنفرد بخلق هذه المخلوقات العظيمة لا تلك الأوثان و الأصنام التى لا تخلق و لا ترزق و لا تملك نفعا

و لا ضرا و لا موتا و لا حياة و لا نشورا فاستدلوا بتوحيد الربوبية على توحيد الإلهية

\* وَ صَبَّرْنَاهُمْ عَلَى مُخَالَفَةِ قَوْمِهِمْ وَ مَدِينَتِهِمْ وَ مَفَارِقَةِ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْعَيْشِ الرَّغِيدِ وَالسَّعَادَةِ وَالنَّعْمَةِ وَ إِنَّهُ قَدْ ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ مِنَ السَّلَفِ وَ الْخَلَفِ أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ أَبْنَاءِ مُلُوكِ الرُّومِ وَ سَادَتِهِمْ وَ أَنَّهُمْ خَرَجُوا يَوْمًا فِي بَعْضِ أَعْيَادِ قَوْمِهِمْ وَ كَانَ لَهُمْ مُجْتَمَعٌ فِي السَّنَةِ يَجْتَمِعُونَ فِيهِ فِي ظَاهِرِ الْبَلَدِ وَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَ الطَّوَاعِيتَ وَ يَذْبَحُونَ لَهَا وَ كَانَ لَهُمْ مَلِكٌ جَبَّارٌ عَنِيدٌ يُقَالُ لَهُ: "دَقْيَانُوسُ" وَ كَانَ يَأْمُرُ النَّاسَ بِذَلِكَ وَ يَحْتُمُّهُمْ عَلَيْهِ وَ يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ.

فَلَمَّا خَرَجَ النَّاسُ لِمُجْتَمَعِهِمْ ذَلِكَ وَ خَرَجَ هَؤُلَاءِ الْفِتْيَةُ مَعَ آبَائِهِمْ وَ قَوْمِهِمْ وَ نَظَرُوا إِلَى مَا يَصْنَعُ قَوْمُهُمْ بَعَيْنَ بَصِيرَتِهِمْ عَرَفُوا أَنَّ هَذَا الَّذِي يَصْنَعُهُ قَوْمُهُمْ مِنَ السُّجُودِ لِأَصْنَامِهِمْ وَ الذَّبْحِ لَهَا لَا يَنْبَغِي إِلَّا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضَ.

فَجَعَلَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَتَخَلَّصُ مِنْ قَوْمِهِ وَ يَنْحَازُ مِنْهُمْ وَ يَتَبَرَّزُ عَنْهُمْ نَاحِيَةً.

فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ جَلَسَ مِنْهُمْ وَحْدَهُ أَحَدُهُمْ جَلَسَ تَحْتَ ظِلِّ شَجَرَةٍ فَجَاءَ الْآخَرُ فَجَلَسَ عِنْدَهُ وَ جَاءَ الْآخَرُ فَجَلَسَ إِلَيْهِمَا وَ جَاءَ الْآخَرُ فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ وَ جَاءَ الْآخَرُ وَ جَاءَ الْآخَرُ وَ لَا يَعْرِفُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ الْآخَرَ وَ إِذَا جَمَعَهُمْ هُنَاكَ الَّذِي جَمَعَ قُلُوبَهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ

\*مسلم (2638) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:-

الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجْتَدَّةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا اتَّخَلَفُوا مَا تَتَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ»

قال العلماء معناه جموع مجتمعة وأنواع مختلفة وأما تعارفها فهو لأمر جعلها الله عليه وقيل إنها موافقة صفاتها التي جعلها الله عليها وتناسبها في شيمها وقيل إنها خلقت مجتمعة ثم فرقت في أجسادها فمن وافقه في شيمه ألفه ومن بعده نافرته وخالفه

و لهذا قالوا: (لَنْ نَدْعُوًا) و لن: لنفي التأييد أى: لَا يَقَعُ مِنَّا هَذَا أَبَدًا لِأَنَّا لَوْ فَعَلْنَا ذَلِكَ لَكَانَ بَاطِلًا

(مِنْ دُونِهِ إِلَهًا) أى: من سائر المخلوقات

(لَقَدْ قُلْنَا إِذَا) إن دعونا معه آلهة بعد ما علمنا أنه الرب الإله الذى لا تجوز و لا تنبغى العبادة إلا له

(شَطَطًا) ميلا عظيما عن الحق و طريقا بعيدة عن الصواب

فجمعوا بين الإقرار بـ:-

1-توحيد الربوبية 2- و توحيد الإلهية 3-و التزام ذلك 4-و بيان أنه الحق و ما سواه باطل

و هذا دليل على كمال معرفتهم بربهم و زيادة الهدى من الله لهم ﴿١٤﴾

(هَتُولَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً) هَلَا أَقَامُوا عَلَى صِحَّةِ مَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ دَلِيلًا وَاضِحًا صَحِيحًا؟! \*

\*لما ذكروا ما من الله به عليهم من الإيمان و الهدى التفتوا إلى ما كان عليه قومهم من اتخاذ الآلهة من دون الله فمقتوهم و بينوا أنهم ليسوا على يقين من أمرهم بل فى غاية الجهل و الضلال فقالوا:-

(لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ) حجة و برهان على ما هم عليه من الباطل (بَيِّنٍ)

و لا يستطيعون سبيلا إلى ذلك و إنما ذلك افتراء منهم على الله و كذب عليه و هذا أعظم الظلم

و لهذا قال:- (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) بَلْ هُمْ ظَالِمُونَ كَاذِبُونَ فِي قَوْلِهِمْ ذَلِكَ فَيُقَالُ:-

إِنَّ مَلِكَهُمْ لَمَّا دَعَوْهُ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ أَبِي عَلَيْهِمْ وَ تَهَدَّدَهُمْ وَ تَوَعَّدَهُمْ وَ أَمَرَ بِنَزْعِ لِبَاسِهِمْ عَنْهُمْ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِمْ مِنْ زِينَةِ قَوْمِهِمْ وَ أَجْلَهُمْ لِيَنْظُرُوا فِي أَمْرِهِمْ لَعَلَّهُمْ يُرَاجِعُونَ دِينَهُمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ.

وَ كَانَ هَذَا مِنْ لُطْفِ اللَّهِ بِهِمْ فَإِنَّهُمْ فِي تِلْكَ النَّظَرَةِ تَوَصَّلُوا إِلَى الْهَرَبِ مِنْهُ. وَ الْفِرَارِ بِدِينِهِمْ مِنَ الْفِتْنَةِ. وَ هَذَا هُوَ الْمَشْرُوعُ عِنْدَ وَقُوعِ الْفِتَنِ فِي النَّاسِ:- أَنْ يَفِرَّ الْعَبْدُ مِنْهُمْ خَوْفًا عَلَى دِينِهِ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ:-

\*البخارى 3300 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-

«يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ مَالِ الرَّجُلِ غَنَمٌ يَتَّبِعُ بِهَا شَعَفَ (أَعْلَى) الْجِبَالِ وَ مَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ»  
\*فَفِي هَذِهِ الْحَالِ تُشْرَعُ الْعُزْلَةُ عَنِ النَّاسِ وَ لَا تُشْرَعُ فِيهَا عَدَاهَا لِمَا يَفُوتُ بِهَا مِنْ تَرْكِ الْجَمَاعَاتِ وَ الْجُمُعِ

.....

وَإِذِ اعْتَرَزْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوَا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ  
 وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴿١٦﴾ \* وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ  
 وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ  
 وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ آيْكَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقِلَبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ  
 وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا  
 وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ  
 قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ  
 إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا  
 ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿٢٠﴾

أي: قال بعضهم لبعض: إذ حصل لكم اعتزال قومكم في أجسامكم و أديانكم فلم يبق إلا النجاء من شرهم  
 و التسبب بالأسباب المفضية لذلك لأنهم لا سبيل لهم إلى قتالهم و لا بقائهم بين أظهرهم و هم على غير  
 دينهم

(فَأَوْوَا إِلَى الْكَهْفِ) انضموا إليه و اختفوا فيه (يَنْشُرْ) يبسط

(لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا) أَمْرًا تَرْتَفِقُونَ بِهِ.

فَعِنْدَ ذَلِكَ خَرَجُوا هُرَابًا إِلَى الْكَهْفِ فَأَوْوَا إِلَيْهِ فَفَقَدَهُمْ قَوْمُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ وَ تَطَلَّبَهُمُ الْمَلِكُ فَيُقَالُ:-  
 إِنَّهُ لَمْ يَظْفَرْ بِهِمْ وَ عَمَى اللَّهُ عَلَيْهِ خَبَرَهُمْ.

\* و فيما تقدم أخبر أنهم دعوه بقولهم (رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا)

فجمعوا بين التبري من حولهم و قوتهم و الالتجاء إلى الله في صلاح أمرهم و دعائه بذلك و بين الثقة بالله أنه  
 سيفعل ذلك لا جرم أن الله نشر لهم من رحمته و هيأ لهم من أمرهم مرفقا فحفظ أديانهم و أبدانهم  
 و جعلهم من آياته على خلقه و نشر لهم من الثناء الحسن ما هو من رحمته بهم و يسر لهم كل سبب  
 حتى المحل الذي ناموا فيه كان على غاية ما يمكن من الصيانة ﴿١٦﴾ و لهذا قال:-

(وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُرُ) تميل (عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ)

حفظهم الله من الشمس فيسر لهم غارا إذا طلعت الشمس تميل عنه يمينا  
 وَ ذَلِكَ أَنَّهَا كُلَّمَا ارْتَفَعَتْ فِي الْأَفْقِ تَقَلَّصَ شُعَاعُهَا بِارْتِفَاعِهَا حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُ شَيْءٌ عِنْدَ الزَّوَالِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ  
 الْمَكَانِ



(وَإِذَا غَرَبَتِ تَقْرِصُهُمْ) تَدْخُلُ إِلَى غَارِهِمْ مِنْ شِمَالِ بَابِهِ وَهُوَ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَشْرِقِ إِذَا غَرَبَتْ تَتْرَكُهُمْ إِلَى جِهَةِ الْيَسَارِ (ليس تقررصهم أى: تقررصهم بحرارتها)

(ذَاتَ الشِّمَالِ) و عند غروبها تميل عنه شمالا فلا ينالهم حرها فتفسد أبدانهم بها

(وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ) أى:- من الكهف أى: مكان متسع فلا تؤذيهم حرارة الشمس

\* و ذلك ليطرفهم الهواء و النسيم و يزول عنهم الوحمة و التأذى بالمكان الضيق خصوصا مع طول المكث و ذلك من آيات الله الدالة على قدرته و رحمته بهم و إجابة دعائهم و هدايتهم حتى في هذه الأمور

و لهذا قال: (ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ)

لا سبيل إلى نيل الهداية إلا من الله فهو الهادى المرشد لمصالح الدارين

(وَمَنْ يَضِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا)

أى: لا تجد من يتولاه و يدبره على ما فيه صلاحه و لا يرشده إلى الخير و الفلاح لأن الله قد حكم عليه بالضلال و لا راد لحكمه ﴿١٧﴾

(وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ) تحسبهم أيها الناظر إليهم كأنهم أيقاظ و الحال أنهم نيام قال المفسرون:-

و ذلك لأن أعينهم مفتحة لئلا تفسد فالناظر إليهم يحسبهم أيقاظا و هم رقود

(وَنُقِلَبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ)

و هذا أيضا من حفظه لأبدانهم لأن الأرض من طبيعتها أكل الأجسام المتصلة بها فكان من قدر الله أن قلبهم على جنوبهم يمينا و شمالا بقدر ما لا تفسد الأرض أجسامهم و الله تعالى قادر على حفظهم من الأرض من غير قلب و لكنه تعالى حكيم أراد أن تجرى سنته فى الكون و يربط الأسباب بمسبباتها.

(وَكَلَبَهُمُ) أى:- الكلب الذى كان مع أصحاب الكهف أصابه ما أصابهم من النوم وقت حراسته (بَكِسْطٍ) ماد

(ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ) بِالْفِئَاءِ و هو الباب أو فئائه هذا حفظهم من الأرض.

و أما حفظهم من الآدميين فأخبر أنه حماهم بالرعب الذى نشره الله عليهم

و مِنْهُ قَوْلُهُ {إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُؤَصَّدَةٌ} [الْهُمَزَةُ: 8] أَيْ: مُطَبَّقَةٌ مُغْلَقَةٌ. رَبَضَ كَلْبُهُمْ عَلَى الْبَابِ كَمَا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ الْكِلَابِ. قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ يَحْرُسُ عَلَيْهِمُ الْبَابَ. وَ هَذَا مِنْ سَجِيَّتِهِ وَ طَبِيعَتِهِ حَيْثُ يَرِبُضُ بِبَابِهِمْ كَأَنَّهُ يَحْرُسُهُمْ وَ كَانَ جُلُوسُهُ خَارِجَ الْبَابِ لِأَنَّ [النَّبِيَّ قَالَ:- الْمَلَائِكَةُ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ وَ لَا كَلْبٌ] (النسائي 4281) وَ شَمَلْتُ كَلْبَهُمْ بَرَكْتُهُمْ فَأَصَابَهُ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ النَّوْمِ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ. وَ هَذَا فَإِنَّهُ صَحَبَةُ الْأَخْيَارِ فَإِنَّهُ صَارَ لِهَذَا الْكَلْبِ ذِكْرٌ وَ خَبْرٌ وَ شَأْنٌ.

(لَوْ أَطْلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمْلَمْتَ) أى:- امتلا قلبك (مِنْهُمْ رُعبًا)

و هذا الذى أوجب أن يبقوا كل هذه المدة الطويلة و هم لم يعثر عليهم أحد مع قربهم من المدينة جدا

و الدليل على قربهم أنهم لما استيقظوا أرسلوا أحدهم يشتري لهم طعاما من المدينة و بقوا فى انتظاره فدل ذلك على شدة قربهم منها ﴿١٨﴾

( وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ ) من نومهم الطويل ( لِيَتَسَاءَلُوا ) ليتباحثوا للوقوف على الحقيقة ( بَيْنَهُمْ ) من مدة لبثهم

( قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ )

\* كَانَ دُخُولُهُمْ إِلَى الْكَهْفِ فِي أَوَّلِ نَهَارٍ وَ اسْتَيْقَظُوهُمْ كَانَ فِي آخِرِ نَهَارٍ وَ لِهَذَا اسْتَدْرَكُوا فَقَالُوا:-- (أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) \* و هذا مبنى على ظن القائل و كأنهم وقع عندهم اشتباه. فى طول مدتهم

فلهذا ( قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ )

فردوا العلم إلى المحيط علمه بكل شىء جملة و تفصيلا و لعل الله تعالى -بعد ذلك- أطلعهم على مدة لبثهم لأنه بعثهم ليتساءلوا بينهم و أخبر أنهم تساءلوا و تكلموا بمبلغ ما عندهم و صار آخر أمرهم: -الاشتباه فلا بد أن يكون قد أخبرهم يقينا علمنا ذلك من حكمته فى بعثهم و أنه لا يفعل ذلك عبثا. و من رحمته بمن طلب علم الحقيقة فى الأمور المطلوب علمها و سعى لذلك ما أمكنه فإن الله يوضح له ذلك و بما ذكر فيما بعده من قوله. (وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيُغْلُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا) فلولا أنه حصل العلم بحالهم لم يكونوا دليلا على ما ذكر

( فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ ) فَضَّيْتُكُمْ [دراهمكم] ( هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ )

ثم إنهم لما تساءلوا بينهم و جرى منهم ما أخبر الله به أرسلوا أحدهم بورقهم أى: -بالدراهم التى كانت معهم ليشتري لهم طعاما يأكلونه من المدينة التى خرجوا منها

وَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ اسْتَصْحَبُوا مَعَهُمْ دَرَاهِمَ مِنْ مَنَازِلِهِمْ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا فَتَصَدَّقُوا مِنْهَا وَ بَقِيَ مِنْهَا ( فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ ) أطيّب و ألد ( طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ )

كَقَوْلِهِ: {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا} [النور: 21] وَ قَوْلِهِ {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى} [الأعلى: 14] وَ مِنْهُ الزَّكَاةُ الَّتِي تُطَيِّبُ الْمَالَ وَ تُطَهِّرُهُ. لِأَنَّ مَقْصُودَهُمْ إِمَّا هُوَ الطَّيِّبُ الْحَلَالُ

( وَلِيَتَلَطَّفَ ) و أن يتلطف فى ذهابه و شرائه و إيابه و أن يختفى فى ذلك و يخفى حال إخوانه

( وَلَا يُشْعِرَنَّ ) يُعْلِمَنَّ ( بِكُمْ أَحَدًا ) ﴿١٩﴾

( إِنْهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا ) يَطَّلَعُوا أَصْحَابَ دَقْيَانُوسَ ( عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ ) فتصيروا كفارا

\* و ذكروا المحذور من اطلاع غيرهم عليهم و ظهورهم عليهم أنهم بين أمرين: -

1- إما الرجم بالحجارة فيقتلونهم أشنع قتلة لحقهم عليهم و على دينهم

2- و إما أن يفتنوهم عن دينهم و يردوهم فى ملتهم

( وَلَنْ تَقْلِحُوا ) تفوزوا بمطلبكم من دخول الجنة -إن فعلتم ( إِذَا ) ( ذَلِكَ ) ( أَبَدًا )

\* وفي هذه الحال لا يفلحون أبدا بل يحشرون في دينهم و دنياهم و آخرهم

و قد دلت هاتان الآيتان على عدة فوائد:-

1-الحث على العلم و على المباحثة فيه لكون الله بعثهم لأجل ذلك.

2-الأدب فيمن اشتبه عليه العلم أن يرده إلى عالمه و أن يقف عند حده.

3-صحة الوكالة في البيع و الشراء و صحة الشركة في ذلك.

4-جواز أكل الطيبات و المطاعم اللذيذة إذا لم تخرج إلى حد الإسراف المنهى عنه لقوله:-

(فَلْيَنْظُرِ آيَاتُكَ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا)

و خصوصا إذا كان الإنسان لا يلائمه إلا ذلك و لعل هذا عمدة كثير من المفسرين القائلين بأن هؤلاء أولاد ملوك لكونهم أمروه بأزكى الأطعمة التي جرت عادة الأغنياء الكبار بتناولها.

5-الحث على التحرز و الاستخفاء و البعد عن مواقع الفتن في الدين و استعمال الكتمان في ذلك على الإنسان و على إخوانه في الدين.

6-شدة رغبة هؤلاء الفتية في الدين و فرارهم من كل فتنة في دينهم و تركهم أوطانهم في الله.

7-ذكر ما اشتمل عليه الشر من المضار و المفساد الداعية لبغضه و تركه و أن هذه الطريقة هي طريقة المؤمنين

المتقدمين و المتأخرين لقولهم:- (وَلَنْ تَقْبَلُوا إِذَا أَبَاكُمْ) ﴿٢٠﴾

### الاعجاز في أصحاب الكهف

### الرابط

### الطب الحديث و التقليب:-

لنرى ما ذا يقول أصحاب الاختصاص اليوم وبعد مرور أكثر من ألف وأربعمئة سنة على نزول الآية في شأن من نام أكثر من أربع و عشرين ساعة على جهة واحدة بدون تحريك بسبب من الأسباب كأن يكون قد تعرض لكسور كثيرة يصعب معها تحريكه لتفادى تراخى الجائر و فساد الكسور مرة أخرى أو فيمن تعرض لأضرار كثيرة نتيجة حادث أو حريق أو غيره. يقول الدكتور عبد الحميد دياب:-

إن من الإصابات الشائعة و الصعبة العلاج التي تعترض الأطباء الممارسين في المشافي هي مشكلة حدوث (الخشكرشات) أو ما تسمى بقرحة السرير Bed Sore عند المرضى الذين تضطربهم حالتهم للبقاء الطويل في السرير كما في كسور الحوض و العمود الفقري أو الشلل أو حالات السبات الطويل و الخشكرشات هذه عبارة عن قرحات و تموت في الجلد و الأنسجة التي تحت الجلد بسبب نقص التروية الدموية عند بعض مناطق الجلد نتيجة انضغاطها بين الأجزاء الصلبة من البدن و مكان الاضطجاع و أكثر ما تحصل في المنطقة العجزية و الإليتين و عند لوحى الكتفين و كعبي القدمين و لا وقاية من حدوث هذه الخشكرشات سوى تقليب المريض بحيث لا يبقى بدون تقليب أكثر من (12) ساعة و قد تكون هذه هي الحكمة من تقليب الله عز وجل لأهل الكهف لوقايتهم من تلك الإصابة و إن كانت قصة أهل الكهف كلها تدخل في نطاق المعجزة

### وجه الإعجاز:-

لم نعرف هذه الحقيقة العلمية عن تقليب المريض -الذى لا يستطيع تقليب نفسه- لم نعرفها إلا اليوم

أو قل إن شئت في القرن العشرين أو قبله بقليل حتى لا ننتهم بالمبالغة و إذا كان ذلك كذلك فمن الذي أخبر محمد النبي الأمي ﷺ قبل عشرة قرناً من اليوم بهذه الحقيقة التي عجز عنها أهل الطب والاختصاص؟ هذه الحقيقة العلمية التي جاءت في سياق الخبر عن قوم أحبوا الله وأحبهم فنالتهم العناية الإلهية العظيمة التي لم تتوقف عند إنقاذهم من أعدائهم فحسب بل تعدته إلى تقليبهم أثناء نومهم لئلا يصيبهم ما يصيب النائم لفترة طويلة دون تقليب (وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ) [الكهف:18] و لم يذكر الجهات الأخرى لأن النوم على الظهر هو الأصل في النائم حيث مركز الثقل يكون فيه أكبر وأوسع فهل كان محمد ﷺ يعلم بهذه الحقيقة؟

و هو رجل أمي لا يقرأ و لا يكتب ليتفوق على علماء العصر بهذه الحقيقة؟ لا شك أن الذي أخبره بتلك الحقيقة هو الله الذي خلق الإنسان و الذي يعلم ما يحتاجه هذا المخلوق و أن الذي أنزلها و أنزل غيرها من الحقائق على محمد هو الله و أن القرآن بعد ذلك حق من عند الله و هو كلامه الذي أنزله على عبده و رسوله ﷺ - و ليس كلام بشر افتراه أو علّمه بشر ليكون لنا نوراً و برهاناً و منهاجاً إلى يوم القيامة به نسترشد وعليه نعول و منه نستزيد بالإيمان و الهدى و الحق و صدق الله القائل:-

(وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [الحج: 54]

وَكَذَلِكَ أَعِزَّنَا عَلَيْهِمْ لِیَعْلَمُوا أَنَّهُ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ۖ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۚ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۚ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَآذُكَرُّ رَبِّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشْدًا ۚ وَلِإِثْوَا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ۚ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ۚ وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ يَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۚ

(وَكَذَلِكَ أَعِزَّنَا عَلَيْهِمْ) أطلعنا (عليهم) أهل ذلك الزمان بعد أن كشف البائع نوع الدراهم التي جاء بها مبعوثهم\* فأراد الله أمرا فيه صلاح للناس و زيادة أجر لهم و هو أن الناس رأوا منهم آية من آيات الله المشاهدة بالعيان (لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) لا شك فيه و لا مرية و لا بعد (وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ) بعدما كانوا

(يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ) فمن مثبت للوعد و الجزاء و من ناف لذلك

\* فجعل قصتهم زيادة بصيرة و يقين للمؤمنين و حجة على الجاحدين و صار لهم أجر هذه القضية و شهر الله أمرهم و رفع قدرهم حتى عظمهم الذين اطلعوا عليهم.

(فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ) الله أعلم بحالهم و مآلهم

(قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ) و قال من غلب على أمرهم و هم الذين لهم الأمر:-

(لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا) نعبد الله تعالى فيه و نتذكر به أحوالهم و ما جرى لهم

\* و هذه الحالة محظورة نهى عنها النبي ﷺ و ذم فاعليها و لا يدل ذكرها هنا على عدم ذمها فإن السياق في شأن تعظيم أهل الكهف و الثناء عليهم و أن هؤلاء وصلت بهم الحال إلى أن قالوا:- ابنوا عليهم مسجدا بعد خوف أهل الكهف الشديد من قومهم و حذرهم من الاطلاع عليهم فوصلت الحال إلى ما ترى.

\*مسلم قال النبي ﷺ: -أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ إِلَّا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ إِنِّي أَنهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»  
و في هذه القصة دليل على:-

- 1- أن من فر بدينه من الفتن سلمه الله منها
  - 2-و أن من حرص على العافية عافاه الله
  - 2-و من أوى إلى الله آواه الله و جعله هداية لغيره
  - 3-و من تحمل الذل في سبيله و ابتغاء مرضاته كان آخر أمره و عاقبته العز العظيم من حيث لا يحتسب
- (وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ) ﴿٨١﴾

(سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ)  
يخبر تعالى عن اختلاف أهل الكتاب في عدة أصحاب الكهف

(رَجْمًا بِالْغَيْبِ) (اختلافا صادرا عن رجمهم بالغيب و تقولهم بما لا يعلمون\_قول بالظن من غير دليل  
\*و أنهم فيهم على ثلاثة أقوال:-

- 1-من يقول:-ثلاثة رابعهم كلبهم و منهم من يقول: خمسة سادسهم كلبهم.  
و هذان القولان ذكر الله بعدهما أن هذا رجم منهم بالغيب فدل على بطلانهما.
- 2-من يقول:-سبعة و ثامنهم كلبهم و هذا -و الله أعلم-الصواب لأن الله أبطل الأولين و لم يطله فدل على صحته و هذا من الاختلاف الذي لا فائدة تحته و لا يحصل بمعرفة عددهم مصلحة للناس دينية و لا دنيوية

و لهذا قال تعالى:- (قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ)

\*إِرْشَادُ إِلَى أَنَّ الْأَحْسَنَ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَقَامِ رَدُّ الْعِلْمِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى إِذْ لَا احتِياجَ إِلَى الْخَوْصِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ بِلَا عِلْمٍ لَكُنْ إِذَا أَطْلَعْنَا عَلَى أَمْرٍ قُلْنَا بِهِ وَ إِلَّا وَقَفْنَا حَيْثُ وَقَفْنَا.

(مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ) و هم الذين أصابوا الصواب و علموا إصابتهم.  
\*قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:-أَنَا مِنَ الْقَلِيلِ الَّذِي اسْتَتْنَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كَانُوا سَبْعَةً.

(فَلَا تُمَارِ) تجال و تحاج

(فِيهِمْ إِلَّا مِرَّةً ظَاهِرًا) مبني على العلم و اليقين و يكون أيضا فيه فائدة

و أما المماراة المبنية على الجهل و الرجم بالغيب أو التي لا فائدة فيها إما أن يكون الخصم معاندا أو تكون المسألة لا أهمية فيها و لا تحصل فائدة دينية بمعرفتها كعدد أصحاب الكهف و نحو ذلك  
فإن في كثرة المناقشات فيها و البحوث المتسلسلة:-

- 1-تضييعا للزمان 2-و تأثيرا في مودة القلوب بغير فائدة



(وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ) فى شأن أهل الكهف

(مِنْهُمْ) من أهل الكتاب

(أَحَدًا) و ذلك لأن مبنى كلامهم فيهم على الرجم بالغيب و الظن الذى لا يغنى من الحق شيئاً

ففيها دليل على المنع من استفتاء من لا يصلح للفتوى:-

1- إما لقصوره فى الأمر المستفتى فيه

2- أو لكونه لا يبالي بما تكلم به

3- و ليس عنده ورع يحجزه

\* و إذا نهى عن استفتاء هذا الجنس فنهيه هو عن الفتوى من باب أولى و أخرى.

و فى الآية أيضاً:-

دليل على أن الشخص قد يكون منهيًا عن استفتائه فى شيء دون آخر فيستفتى فيما هو أهل له بخلاف غيره

لأن الله لم ينه عن استفتائهم مطلقاً إنما نهى عن استفتائهم فى قصة أصحاب الكهف و ما أشبهها (٢٢)

(وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ) هذا النهى كغيره و إن كان لسبب خاص و موجهًا للرسول ﷺ فإن الخطاب عام للمكلفين

فهى الله أن يقول العبد فى الأمور المستقبلية

(إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) من دون أن يقرنه بمشيئة الله و ذلك لما فيه من المحذور

و هو:- الكلام على الغيب المستقبل الذى لا يدرى هل يفعله أم لا؟ و هل تكون أم لا؟

و فيه رد الفعل إلى مشيئة العبد استقلالاً و ذلك محذور محذور لأن المشيئة كلها لله

(وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)

و لما فى ذكر مشيئة الله من:-

1- تيسير الأمر و تسهيله 2- و حصول البركة فيه و الاستعانة من العبد لربه

\* البخارى 3424 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:- قَالَ:-

سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ لَأُطَوَّفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى سَبْعِينَ امْرَأَةً تَحْمِلُ كُلُّ امْرَأَةٍ فَارِسًا يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ:- إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَلَمْ يَقُلْ وَ لَمْ تَحْمِلْ شَيْئًا إِلَّا وَاحِدًا سَاقِطًا أَحَدُ شَقِيهِ

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:- لَوْ قَالَهَا لَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ" قَالَ شُعَيْبٌ وَ ابْنُ أَبِي الزِّنَادِ:- تَسْعِينَ وَ هُوَ أَصَحُّ (٣٣)

(وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ)

-و لما كان العبد بشرا لا بد أن يسهو فيترك ذكر المشيئة أمره الله أن يستثنى بعد ذلك إذا ذكر ليحصل

المطلوب و ينفع المحذور

\* و يؤخذ من عموم قوله:- (وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ) مَعْنَاهُ إِذَا نَسِيتَ الْإِسْتِثْنَاءَ فَاسْتَثْنِ عِنْدَ ذِكْرِكَ لَهُ.

\* وَ يَحْتَمِلُ فِي الْآيَةِ وَجْهٌ آخَرٌ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَرَشَدَ مَنْ نَسِيَ الشَّيْءَ فِي كَلَامِهِ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّ النَّسْيَانَ مَنْشُؤُهُ مِنَ الشَّيْطَانِ كَمَا قَالَ فَتَى مُوسَى: {وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَ} [الكهف: 63] وَ ذَكَرُ اللَّهِ تَعَالَى يَطْرُدُ الشَّيْطَانَ فَإِذَا ذَهَبَ الشَّيْطَانُ ذَهَبَ النَّسْيَانُ فَذَكَرُ اللَّهِ سَبَبٌ لِلذِّكْرِ وَلِهَذَا قَالَ: {وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ}

\* الأمر بذكر الله عند النسيان فإنه يزيله و يذكر العبد ما سها عنه و كذلك يؤمر الساهي للناسي لذكر الله أن يذكر ربه و لا يكون من الغافلين

\* و لما كان العبد مفتقرا إلى الله في توفيقه للإصابة و عدم الخطأ في أقواله و أفعاله أمره الله أن يقول: -

(عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا)

فأمره أن يدعو الله و يرجوه و يثق به أن يهديه لأقرب الطرق الموصلة إلى الرشده.

و حري بعبد تكون هذه حاله ثم يبذل جهده و يستفرغ وسعه في طلب الهدى و الرشده أن يوفق لذلك

و أن تأتيه المعونة من ربه و أن يسدده في جميع أموره ﴿١٤﴾

\* لما نهاه الله عن استفتاء أهل الكتاب في شأن أهل الكهف لعدم علمهم بذلك و كان الله عالم الغيب و الشهادة العالم بكل شيء أخبره بمدة لبثهم

(وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا)

\* هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ بِمِقْدَارِ مَا لَبِثَ أَصْحَابُ الْكَهْفِ فِي كَهْفِهِمْ مُنْذُ أَرْقَدَهُمُ اللَّهُ إِلَى أَنْ بَعَثَهُمْ وَ أَعَثَّرَ عَلَيْهِمْ أَهْلَ ذَلِكَ الزَّمَانِ وَ أَنَّهُ كَانَ مِقْدَارُهُ ثَلَاثَ مِائَةٍ سَنَةٍ وَ تِسْعَ سِنِينَ بِالْهَلَالِيَّةِ وَ هِيَ ثَلَاثُمِائَةٍ سَنَةٍ بِالشَّمْسِيَّةِ فَإِنَّ تَفَاوُتَ مَا بَيْنَ كُلِّ مِائَةٍ سَنَةٍ بِالْقَمَرِيَّةِ إِلَى الشَّمْسِيَّةِ ثَلَاثُ سِنِينَ فَلِهَذَا قَالَ بَعْدَ الثَّلَاثُمِائَةِ:-

{وَازْدَادُوا تِسْعًا} ﴿١٥﴾

(قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا) و أن علم ذلك عنده وحده

(لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)

فإنه من غيب السماوات و الأرض و غيبها مختص به فما أخبر به عنها على السنة رسله فهو الحق اليقين الذى لا يشك فيه و ما لا يطلع رسله عليه فإن أحدا من الخلق لا يعلمه.

(أَبْصِرْ بِهِ وَاسْمِعْ) فَلَا أَحَدَ أَبْصَرَ مِنَ اللَّهِ وَ لَا أَسْمَعَ.

\* تعجب من كمال سمعه و بصره و إحاطتهما بالمسموعات و المبصرات بعد ما أخبر بإحاطة علمه بالمعلومات.

ثم أخبر عن انفراده بالولاية العامة و الخاصة فهو الولي الذى يتولى تدبير جميع الكون الولي لعباده المؤمنين يخرجهم من الظلمات إلى النور و ييسرهم لليسرى و يجنبهم العسرى و لهذا قال:-

(مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ) هو الذى تولى أصحاب الكهف بلطفه و كرمه و لم يكلهم إلى أحد من الخلق.

(وَلَا يَشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا) و هذا يشمل الحكم الكونى القدرى و الحكم الشرعى الدينى

فإنه الحاكم فى خلقه قضاء و قدرا و خلقا و تدبيرا و الحاكم فيهم بأمره و نهيه و ثوابه و عقابه ﴿٦٦﴾  
 \* و لما أخبر أنه تعالى له غيب السماوات و الأرض فليس لمخلوق إليها طريق إلا عن الطريق التى يخبر بها عباده و كان هذا القرآن قد اشتمل على كثير من الغيوب أمر تعالى بالإقبال عليه فقال:-

(وَأَتْلُ) اتبع (مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ) بمعرفة معانيه و فهمها و تصديق أخباره و امتثال أوامره و نواهيه  
 فإنه الكتاب الجليل الذى (لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ) )

لا تغير و لا تبدل لصدقها و عدلها و بلوغها من الحسن فوق كل غاية (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدًا)  
 فلتمامها استحال عليها التغير و التبديل فلو كانت ناقصة لعرض لها ذلك أو شىء منه و فى هذا تعظيم للقرآن فى ضمنه الترغيب على الإقبال عليه

(وَلَن يَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا) ملجأ تلجأ إليه و لا معاذا تعوذ به فإذا تعين أنه وحده الملجأ فى كل الأمور تعين أن يكون هو المألوه المرغوب إليه فى السراء و الضراء المفتقر إليه فى جميع الأحوال المسئول فى جميع المطالب كما قال:-

يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ [التَّائِيلُ] الْمَائِدَةُ: 67 ﴿٦٧﴾

وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ﴿٢٨﴾  
 وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ۖ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِشَرِّ الشَّرَابِ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾  
 إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۖ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ۖ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَانَتْ أُكْلَاهَا وَلَمْ يَتَّظِلْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾

(وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ) يأمر تعالى نبيه محمدا ﷺ و غيره أسوته في الأوامر و النواهي -

أن يصبر نفسه مع المؤمنين العباد المنيبين

حث الرسول على الصبر 28-31

(الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ) أول النهار (ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس) و ليس المراد وقت الظهر

مثل قوله (النار يعرضون عليها غدوا و عشيا) أى قوم فرعون يعرضون على النار أول النهار و آخره

\*البخاري 1379 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:-

"إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"

(وَالْعَشِيِّ) أى: أول النهار و آخره (يُرِيدُونَ) يريدون بذلك

(وَجْهَهُ) وجه الله فوصفهم بالعبادة و الإخلاص فيها

\*مسلم (2413) عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وقاص ﷺ فِي نَزَلَتْ:- {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ} [الأنعام: 52] قَالَ:-

نَزَلَتْ فِي سِتَّةٍ: أَنَا وَ ابْنُ مَسْعُودٍ مِنْهُمْ وَ كَانَ الْمُشْرِكُونَ قَالُوا لَهُ: تُدْنِي هَؤُلَاءِ "

\*ففيها:-

1-الأمر بصحبة الأخيار

2-و مجاهدة النفس على صحبتهم و مخالطتهم و إن كانوا فقراء فإن في صحبتهم من الفوائد ما لا يحصى

(وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ) لا تجاوزهم بصرك و ترفع (عَنَّهُمْ) نظرك إلى غَيْرِهِمْ و تَطْلُبُ بَدَلَهُمْ أَصْحَابَ الشَّرَفِ وَ الثَّرْوَةِ (تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)

فإن هذا ضار غير نافع و قاطع عن المصالح الدنيية فإن ذلك يوجب تعلق القلب بالدنيا فتصير الأفكار و الهواجس فيها و تزول من القلب الرغبة في الآخرة فإن زينة الدنيا تروق للناظر و تسحر العقل فيغفل القلب عن ذكر الله و يقبل على اللذات و الشهوات فـ:-

1- يضيع وقته 2- و ينفطر أمره 3- فيخسر الخسارة الأبدية و الندامة السرمدية  
\*اجْلِسْ مَعَ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ وَيَهْلِلُونَهُ وَيَحْمَدُونَهُ وَيُسَبِّحُونَهُ وَيَكْبُرُونَهُ وَيَسْأَلُونَهُ بِكُرَّةٍ وَ عَشِيًّا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ سَوَاءً كَانُوا فُقَرَاءَ أَوْ أَغْنِيَاءَ أَوْ أَقْوِيَاءَ أَوْ ضَعَفَاءَ. يُقَالُ: إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَشْرَافِ قُرَيْشٍ حِينَ طَلَبُوا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَجْلِسَ مَعَهُمْ وَحْدَهُ وَ لَا يُجَالِسَهُمْ بِضَعَفَاءِ أَصْحَابِهِ كِبَالٍ وَ عَمَارٍ وَ صُهَيْبٍ وَ خَبَّابٍ وَ ابْنِ مَسْعُودٍ وَ لِيُفَرِّدَ أَوْلِيكَ مَجْلِسٍ عَلَى حِدَةٍ. فَتَهَاهُ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ:-  
{وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ} [الأنعام: 52] وَ أَمَرَهُ أَنْ يُصَبِّرَ نَفْسَهُ فِي الْجُلُوسِ مَعَ هَؤُلَاءِ فَقَالَ:-  
{وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ  
و لهذا قال:-} (وَلَا نَطْعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا) غفل عن الله فعاقبه بأن أغفله عن ذكره.

(وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) أى: صار تبعاً لهواه حيث ما اشتتهت نفسه فعله و سعى في إدراكه و لو كان فيه هلاكه و خسارانه فهو قد اتخذ إلهه هواه كما قال تعالى: (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ) الآية.  
(وَكَانَ أَمْرُهُ) أى:- في جميع أعماله

(فُرُطًا) ضريعاً و هلاكاً

فهذا قد نهى الله عن طاعته لأن طاعته تدعو إلى الاقتداء به و لأنه لا يدعو إلا لما هو متصف به كما قال:-  
{وَلَا تُمَدِّنْ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى} [طه: 131]  
و دلت الآية:- على أن الذى ينبغي أن يطاع و يكون إماماً للناس من:-

1- امتلاً قلبه بمحبة الله 2- و فاض ذلك على لسانه فلهج بذكر الله 3- و اتبع مرضى ربه فقدمها على هواه  
\*فحفظ بذلك ما حفظ من وقته و صلحت أحواله و استقامت أفعاله و دعا الناس إلى ما من الله به عليه فحقيق بذلك أن يتبع و يجعل إماماً و الصبر المذكور فى هذه الآية:-  
هو الصبر على طاعة الله الذى هو أعلى أنواع الصبر و بتمامه تتم باقى الأقسام.  
و فى الآية:-

1- استحباب الذكر و الدعاء و العبادة طرفى النهار لأن الله مدحهم بفعله

2- و كل فعل مدح الله فاعله دل ذلك على أن الله يحبه و إذا كان يحبه فإنه يأمر به و يرغب فيه 28

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ﴾

كم يضيق صدري، وينقبض قلبي، ويتكدر خاطري؛ مما أراني عليه من لهث وراء هذه الدنيا وزينتها! وما أرى فيها من الإسراف والتَّرفِ والمباهاة والمنكرات وكشف العورات! وأخشى والله من سوء العاقبة، ويكفي من ذلك الغفلة وعدم المصابرة مع من أمرنا ربنا بحبس النفس معهم في قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (٢) الكهف: ٢٨

(وَقُلْ) للناس يا محمد:- هو (الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ) أى: قد تبين الهدى من الضلال و الرشد من الغي و صفات أهل السعادة و صفات أهل الشقاوة و ذلك بما بينه الله على لسان رسوله فإذا بان و اتضح و لم يبق فيه شبهة.

(فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ) أى: لم يبق إلا سلوك أحد الطريقين بحسب:-

#### 1-توفيق العبد 2-و عدم توفيقه

و قد أعطاه الله مشيئة بها يقدر على الإيمان و الكفر و الخير و الشر فمن آمن فقد وفق للصواب و من كفر فقد قامت عليه الحجة و ليس بمكره على الإيمان كما قال تعالى :-

(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) و ليس فى قوله:- (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)

الإذن فى كلا الأمرين و إنما ذلك تهديد و وعيد لمن اختار الكفر بعد البيان التام كما ليس فيها ترك قتال الكافرين. ثم ذكر تعالى مآل الفريقين فقال:-

(إِنَّا أَعْتَدْنَا) أَرْضَنَا (لِلظَّالِمِينَ) بالكفر و الفسوق و العصيان (نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا) (سورها المحيط بها فليس لهم منفذ و لا طريق و لا مخلص منها تصلاهم النار الحامية.

(وَلِإِنْ يَسْتَغِيثُوا) يطلبوا الشراب ليطفى ما نزل بهم من العطش الشديد.

(يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَأَلْمُهْلِ) أى:- كالرصاص المذاب أو كعكر الزيت من شدة حرارته.

(يَشْوَى الْوُجُوهُ) أى: فكيف بالأعضاء و البطون كما قال (يُضْهِرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ\* وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ)

(يَنسَكُ الشَّرَابُ) الذى يراد ليطفى العطش و يدفع بعض العذاب فيكون زيادة فى عذابهم و شدة عقابهم.

\* كَمَا قَالَ {وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ} [مُحَمَّدٍ: 15] وَ قَالَ {تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آتِيَةٍ} [الْعَاشِيَةِ: 5] أى: حَارَّة



كَمَا قَالَ: {وَيَنّ حِيمِ أَنْ} [الرَّحْمَنُ: 44]

(وَسَاءَتْ) النار (مُرْتَفَقًا) مَنْزِلًا وَمَقِيلًا وَمُجْتَمَعًا وَمَوْضِعًا لِلِارْتِفَاقِ كَمَا قَالَ {إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا} [الْفُرْقَان: 66]

و هذا ذم لحالة النار أنها ساءت المحل الذي يرتفق به فإنها ليست فيها ارتفاق  
\* وإنما فيها العذاب العظيم الشاق الذي لا يفتر عنهم ساعة و هم فيه مبلسون قد أيسوا من كل خير و نسيهم  
الرحيم في العذاب كما نسوه ﴿٢٩﴾

\* ثم ذكر الفريق الثانى فقال: (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا) أى: جمعوا بين -  
الإيمان بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر و القدر خيره و شره

(وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) من الواجبات و المستحبات

(إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا) و إحسان العمل:-

أن يريد العبد العمل لوجه الله متبعا فى ذلك شرع الله فهذا العمل لا يضيعه الله و لا شيئا منه ﴿٣٠﴾  
بل يحفظه للعاملين و يوفيههم من الأجر بحسب عملهم و فضله و إحسانه و ذكر أجرهم بقوله:

(أُولَئِكَ) الموصوفون بالإيمان و العمل الصالح

(لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ) لهم الجنات العليات التي قد كثرت أشجارها فأجنت من فيها و كثرت أنهارها فصارت

(تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ) من تحت تلك الأشجار الأنيقة و المنازل الرفيعة

(يُحَلَّلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ) و حليتهم فيها الذهب

(وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ) حرير أخضر و هو ما رق منه كالقمصان

(وَأَسْتَبْرَقٍ) و هو الغليظ من الديباج و فيه بريق

(مُتَّكِنِينَ) الاتكاء قيل: الاضطجاع و قيل التربع فى الجلوس.

و هو أشبه بالمُرَادِ هَاهُنَا وَ مِنْهُ الْحَدِيثُ فِي الْبَخَارِ 5398 - عَنْ أَبِي جَحِيفَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-  
«لَا أَكُلُ مُتَّكِنًا (حال كوني متكئا و المتكى هو من استوى قاعدا على و طائه و يمكن من قعوده. و قيل هو المائل على أحد شقيه و الوطاء هو ما يقعد عليه)

(فِيهَا عَلَى الْأَرْآكِ) و هى السرر المزينة المجملة بالثياب الفاخرة فإنها لا تسمى أريكة حتى تكون كذلك

\* و فى اتكائهم على الأرائك ما يدل على:-

كمال الراحة و زوال النصب و التعب و كون الخدم يسعون عليهم بما يشتهون و تمام ذلك الخلود الدائم  
و الإقامة الأبدية فهذه الدار الجليلة

(نِعَمَ الثَّوَابُ) للعاملين

(وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا) مَنْزِلًا وَ مَقِيلًا وَ مَقَامًا كَمَا قَالَ فِي النَّارِ: {يُبْسُ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا} [الْكَهْف: 29]

\*يرتفقون بها و يتمتعون بما فيها مما تشتهيبه الأنفس و تلذ الأعين من الحبرة و السرور و الفرح الدائم و اللذات المتواترة و النعم المتوافرة

و أى مرتفق أحسن من دار أدنى أهلها يسير فى ملكه و نعيمه و قصوره و بساطينه ألفى سنة و لا يرى فوق ما هو فيه من النعيم قد أعطى جميع أمانيه و مطالبه و زيد من المطالب ما قصرت عنه الأمانى و مع ذلك:-  
فنعيمهم على الدوام متزايد فى أوصافه و حسنه فنسأل الله الكريم أن لا يحرمنا خير ما عنده من الإحسان بشر ما عندنا من التقصير و العصيان.

و دلت الآية الكريمة و ما أشبهها:-

على أن الحلية عامة للذكور و الإناث كما ورد فى الأحاديث الصحيحة لأنه أطلقها فى قوله (يُحَلُونَ)

و كذلك الحرير و نحوه ﴿٣١﴾

قصة صاحب الجنتين 32-44

(وَأُضْرِبَ لَهُم مِّثْلًا مِّثْلَ رَجُلَيْنِ) يقول تعالى لنبىه ﷺ:-

اضرب للناس مثل هذين الرجلين الشاكر لنعمة الله و الكافر لها و ما صدر من كل منهما من الأقوال و الأفعال و ما حصل بسبب ذلك من العقاب العاجل و الآجل و الثواب ليعتبروا بحالهما و يتعظوا بما حصل عليهما و ليس معرفة أعيان الرجلين و فى أى زمان أو مكان هما فيه فائدة أو نتيجة فالنتيجة تحصل من قصتهما فقط و التعرض لما سوى ذلك من التكلف.  
فأحد هذين الرجلين الكافر لنعمة الله الجليلة

(جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا) جعل الله له (جَنَّتَيْنِ) أى:- بستانين حسنين (مِنْ أَعْنَابٍ)

(وَحَفَفَتْهُمَا بِنَخْلٍ) أى: فى هاتين الجنتين من كل الثمرات و خصوصا أشرف الأشجار العنب و النخل

فالعنب فى وسطها و النخل قد حف بذلك و دار به فحصل فيه من حسن المنظر و بهائه و بروز الشجر و النخل للشمس و الرياح التى تكمل بها الثمار و تنضج و تتجوه

(وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا) و مع ذلك جعل بين تلك الأشجار زرا فلم يبق عليهما إلا أن يقال:-

كيف ثمار هاتين الجنتين؟ و هل لهما ماء يكفيهما؟ ﴿٣٢﴾

(كَلَّا الْجَنَّتَيْنِ ءَانَتْ أَكْلَهُمَا) فأخبر تعالى أن كلا من الجنتين آتت أكلها أى:- ثمرها و زرعها ضعفين أى: متضاعفا

(و) أنها

(وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا) أى: لم تنقص من أكلها أدنى شىء و مع ذلك فالأنهار فى جوانبهما سارحة كثيرة غزيرة.

(وَفَجَّرْنَا) شققنا (خِلَالَهُمَا) بينهما (نَهْرًا) لسقيهما بسهولة و يسر ﴿٣٣﴾

(وَكَاثَ لَهٗ) أى: لذلك الرجل

(ثُمَّ) أى: عظيم كما يفيد التذكير أى: -قد استكملت جنتاه ثمارهما و ارجحت أشجارهما و لم تعرض لهما آفة أو نقص فهذا غاية منتهى زينة الدنيا فى الحرث  
\* و لهذا اغتر هذا الرجل بهما و تبجح و افتخر و نسى آخرته.

(فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ) أى: -فقال صاحب الجنتين لصاحبه المؤمن و هما يتحاوران أى: -  
يتراجعان بينهما فى بعض الماكرات المعتادة مفتخرا عليه: -

(أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا )

فخر بكثرة ماله و عزة أنصاره من عبيد و خدم و أقارب و هذا جهل منه و إلا فأى: -  
افتخار بأمر خارجى ليس فيه فضيلة نفسية و لا صفة معنوية

و إنما هو بمنزله فخر الصبى بالأمانى التى لا حقائق تحتها  
\* قَالَ قَتَادَةُ: تِلْكَ -وَاللَّهِ- أُمْنِيَّةُ الْفَاجِرِ: -كَثْرَةُ الْمَالِ وَ عِزَّةُ النَّفَرِ

\*ثم لم يكفه هذا الافتخار على صاحبه حتى حكم بجهله و ظلمه و ظن لما دخل جنته ﴿٣٤﴾

.....

وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرَنَّا أَقْلَ مِنْكَ مَا لَا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبَحَ يَقْلِبُ كَفْتِهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةً يَضُرُّونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَاضْرِبْ لَهُم مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ ﴿٤٥﴾ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْنَدِرًا ﴿٤٥﴾

(وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ) بالكفر بالبعث و شكه في قيام الساعة

ف—(قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ) تنقطع و تضمحل

(هَذِهِ أَبَدًا) فاطمأن إلى هذه الدنيا و رضى بها و أنكر البعث ﴿٣٦﴾ فقال:-

( وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي) على ضرب المثل

(لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا) ليعطينى خيرا من هاتين الجنتين و هذا لا يخلو من أمرين:-

1- إما أن يكون عالما بحقيقة الحال فيكون كلامه هذا على وجه التهكم و الاستهزاء فيكون زيادة كفر إلى كفره

2-و إما أن يكون هذا ظنه في الحقيقة فيكون من أجهل الناس و أبخسهم حظا من العقل

فأى تلازم بين عطاء الدنيا و عطاء الآخرة حتى يظن بجهله أن من أعطى في الدنيا أعطى في الآخرة

بل الغالب أن الله تعالى يزوى الدنيا عن أوليائه و أصفیائه و يوسعها على أعدائه الذين ليس لهم في الآخرة

نصيب و الظاهر أنه يعلم حقيقة الحال و لكنه قال هذا الكلام على وجه التهكم و الاستهزاء بدليل قوله:-

(وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ)

فإثبات أن وصفه الظلم في حال دخوله الذى جرى منه من القول ما جرى يدل على تمرده و عناده.

\*كَمَا قَالَ {وَلَيْنُ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْبَىٰ} [فُصِّلَتْ: 50] وَ قَالَ {أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَكَّا

[مَزِيَم: 77] أَيْ: فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ تَأْتِي عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿٣٥﴾

( قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ ) المؤمن ناصحا له ( وَهُوَ يُخَاوِرُهُ ) وذكرا له حاله الأولى التي أوجده الله فيها في الدنيا: -

( أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ )

فهو الذي أنعم عليك بنعمة الإيجاد و الإمداد و واصل عليك النعم و نقلك من طور إلى طور

( ثُمَّ سَوَّيَكَ رَجُلًا ) كامل الأعضاء و الجوارح المحسوسة و المعقولة و بذلك يسر لك الأسباب و هيأ لك ما هيأ

من نعم الدنيا فلم تحصل لك الدنيا بحولك و قوتك بل بفضل الله تعالى عليك

فكيف يليق بك أن تكفر بالله الذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا و تجحد نعمته و تزعم أنه لا يبعثك و إن بعثك أنه يعطيك خيرا من جنتك؟! هذا مما لا ينبغي و لا يليق.

\* وَ هَذَا إِنكَارٌ وَ تَعْظِيمٌ لِمَا وَقَعَ فِيهِ مِنْ جُودِ رَبِّهِ الَّذِي خَلَقَهُ وَ ابْتَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ وَ هُوَ آدَمُ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ كَمَا قَالَ {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ} [البقرة: 280]

أَيْ: كَيْفَ تَجْحَدُونَ رَبَّكُمْ وَ دَلَالَتُهُ عَلَيْكُمْ ظَاهِرَةٌ جَلِيَّةٌ كُلُّ أَحَدٍ يَعْلَمُهَا مِنْ نَفْسِهِ فَإِنَّهُ مَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ إِلَّا وَ يَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ مَعْدُومًا ثُمَّ وَجَدَ وَ لَيْسَ وَجُودُهُ مِنْ نَفْسِهِ وَ لَا مُسْتَنْدًا إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ لِأَنَّهُ مِمَّا ثَبَتَتْهُ فَعَلِمَ إِسْنَادَ إِيجَادِهِ إِلَى خَالِقِهِ وَ هُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ

\* و لهذا لما رأى صاحبه المؤمن حاله و استمراره على كفره و طغيانه قال مخبرا عن نفسه على وجه الشكر لربه

و الإعلان بدينه عند ورود المجادلات و الشبهه ﴿٣٧﴾

( لَنَكُنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ) أَنَا لَا أَقُولُ بِمَقَالَتِكَ بَلْ أَعْتَرَفُ لِلَّهِ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَ الْوَحْدَانِيَّةِ

( وَلَا أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ) بَلْ هُوَ اللَّهُ الْمَعْبُودُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

فأقر بربوبيته لربه و انفراده فيها و التزم طاعته و عبادته و أنه لا يشرك به أحدا من المخلوقين ﴿٣٨﴾

( وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ )

\* وَ لِهَذَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: مَنْ أَعْجَبَهُ شَيْءٌ مِنْ حَالِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ وَلَدِهِ أَوْ مَالِهِ فَلْيَقُلْ:

( مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ) وَ هَذَا مَاخُودٌ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ.

\* أحمد 8426 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ: قَالَ لِي نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ:

يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ كَنْزٍ مِنْ كَنْزِ الْجَنَّةِ تَحْتَ الْعَرْشِ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ فَدَاكَ أَبِي وَ أُمِّي قَالَ:- أَنْ تَقُولَ: لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ - قَالَ أَبُو بَلَجٍ:- وَ أَحْسَبُ أَنَّهُ قَالَ - فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ:

أَسْلَمَ عَبْدِي وَ اسْتَسْلَمَ ( ) قَالَ: فَقُلْتُ لِعَمْرٍو: قَالَ أَبُو بَلَجٍ: قَالَ عَمْرٍو:- قُلْتُ لِأَبِي هُرَيْرَةَ:-



لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَقَالَ: - "لَا إِنَّهَا فِي سُورَةِ الْكَهْفِ: {وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ

[الكهف: 39]

\*ثم أخبره أن نعمة الله عليه بالإيمان و الإسلام و لو مع قلة ماله و ولد أنها هي النعمة الحقيقية و أن ما عداها معرض للزوال و العقوبة عليه و النكال فقال:-

**(إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا)**

أى: قال للكافر صاحبه المؤمن: أنت-و إن فخرت على بكثرة مالك و ولدك و رأيتنى أقل منك مالا و ولدا - فإن ما عند الله خير و أبقى وما يرجى من خيره وإحسانه أفضل من جميع الدنيا التى يتنافس فيها المتنافسون ﴿٣٩﴾

**(فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا)** أى: على جنتك التى طغيت بها و غرتك

**(حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ)** عذابا بمطر عظيم أو غيره **(فَتُصْبِحُ)** بسبب ذلك

**(صَعِيدًا)** بَلَقَعَا تُرَابًا أَمْلَسَ قد اقتلعت أشجارها و تلفت ثمارها و غرق زرعها و زال نفعها.

**(زَلَقًا)** لَا يَثْبُتُ فِيهِ قَدَمٌ كالجرز الذى لَا يَثْبُتُ شَيْئًا ﴿٤٠﴾

**(أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَهَا)** الذى مادتها منه

**(غَوْرًا)** غائرا فى الأرض وَ هُوَ ضِدُّ النَّابِعِ الَّذِى يُطْلَبُ وَجَهَ الْأَرْضِ فَالْغَائِرُ يُطْلَبُ أَسْفَلَهَا كَمَا قَالَ:-

{ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَأْوُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ } [الملك: 30] أى: جَارٍ وَ سَائِجٍ.

**(فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُمُ طَلَبًا)** بالمعاول أو بغيرها

و إنما دعا على جنته المؤمن غضبا لربه لكونها غرته و أطغته و اطمأن إليها لعلها ينبى ويراجع رشده و يبصر فى أمره. فاستجاب الله دعاءه ﴿٤١﴾

**(وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ)** أى: أصابه عذاب أحاط به و استهلكه فلم يبق منه شىء و الإحاطة بالثمر يستلزم تلف جميع

أشجاره و ثماره و زرعه فندم كل الندامة و اشتد لذلك أسفه

**(فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ)** يُصَفِّقُ

**(كَفَنِهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا)** على كثرة نفقاته الدنيوية عليها مُتَأَسِّفًا مُتَلَهِّفًا عَلَى الْأَمْوَالِ الَّتِى أَذْهَبَهَا عَلَيْهِ

**(وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا)** حيث اضمحلت و تلاشت فلم يبق لها عوض و ندم أيضا على شركه و شره

و لهذا قال:- **(وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا)** ﴿٤٢﴾

قال الله تعالى:- **(وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَصُورُوهَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِرًا)**

أى: لما نزل العذاب بجنته ذهب عنه ما كان يفتخر به من قوله لصاحبه:- **(أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا)**

فلم يدفعوا عنه من العذاب شيئا أشد ما كان إليهم حاجة و ما كان بنفس منتصرا و كيف ينتصر أى:-  
يكون له أنصارا على قضاء الله و قدره الذى إذا أمضاه و قدره لو اجتمع أهل السماء و الأرض على إزالة شىء  
منه لم يقدرُوا؟

و لا يستبعد من رحمة الله و لطفه أن صاحب هذه الجنة التي أحيط بها تحسنت حاله و رزقه الله الإنابة إليه  
و راجع رشده و ذهب تمرده و طغيانه بدليل أنه أظهر الندم على شركه بربه  
و أن الله أذهب عنه ما يطغيه و عاقبه في الدنيا  
و إذا أراد الله بعبد خيرا عجل له العقوبة فى الدنيا.  
و فضل الله لا تحيط به الأوهام و العقول و لا ينكره إلا ظالم جهول

( وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِرًا )<sup>(٤٣)</sup>

( هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ ) في مثل هذه الشدائد تكون الولاية و النصر

(لِلَّهِ الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا) جزاء (و خَيْرٌ عُقْبًا) عاقبة لمن تولاهم من عباده المؤمنين.  
\*الْأَعْمَالُ الَّتِي تَكُونُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: -ثَوَابُهَا خَيْرٌ وَ عَاقِبَتُهَا حَمِيدَةٌ رَشِيدَةٌ كُلُّهَا خَيْرٌ.  
\*أي في تلك الحال التي أجرى الله فيها العقوبة على من طغى و أثر الحياة الدنيا و الكرامة لمن آمن و عمل  
صالحا و شكر الله و دعا غيره لذلك تبيين و توضح أن الولاية لله الحق  
\*فمن كان مؤمنا به تقيا كان له وليا فأكرمه بأنواع الكرامات و دفع عنه الشرور و المثلثات  
\*و من لم يؤمن بربه و يتولاه خسر دينه و دنياه فتوباه الدنيوى و الأخروى خير ثواب يرجى و يؤمل

ففى هذه القصة العظيمة:-

1-اعتبار بحال الذى أنعم الله عليه نعماء دنيوية فألهته عن آخرته و أطغته و عصى الله فيها أن مآلها الانقطاع  
و الاضمحلال

2-و أنه و إن تمتع بها قليلا فإنه يحرمها طويلا

3-و أن العبد ينبغي له-إذا أعجبه شىء من ماله أو ولده-أن يضيف النعمة إلى موليتها و مسديها  
و أن يقول:- (مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) ليكون شاكرًا لله متسببا لبقاء نعمته عليه لقوله:

(وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ

4-و فيها:-الإرشاد إلى التسلى عن لذات الدنيا و شهواتها بما عند الله من الخير لقوله:-

(إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا) <sup>(٣٩)</sup> فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ

5-و فيها أن المال و الولد لا ينفعان إن لم يعينا على طاعة الله كما قال تعالى:-

(وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا

و فيه الدعاء بتلف مال ما كان ماله سبب طغيانه و كفره و خسارانه خصوصا إن فضل نفسه بسببه على المؤمنين و فخر عليهم

6- و فيها أن ولاية الله و عدمها إنما تتضح نتيجتها إذا انجلى الغبار و حق الجزاء و وجد العاملون أجرهم

تقرير القيم الحقيقية الباقية 45-46

ف—(هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا) عاقبة و مآلا ﴿٤٤﴾

يقول تعالى لنبيه ﷺ أصلا و لمن قام بوراثته بعده تبعا:—

(وَأَضْرِبْ لَهُم) أى:—للناس

(مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)

ليتصوروها حق التصور و يعرفوا ظاهرها و باطنها فيقيسوا بينها و بين الدار الباقية و يؤثروا أيهما أولى بالإيثار.

و أن مثل هذه الحياة الدنيا (كَمَالٍ) كمثل المطر

(أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ) ينزل على الأرض

(فَأَخْضَلَتْ بِهِ نَبَاتِ الْأَرْضِ)

فيختلط نباتها تنبت من كل زوج بهيج فبينما زهرتها و زخرفها تسر الناظرين و تفرح المتفرجين و تأخذ بعيون الغافلين

(فَأَصْبَحَ هَشِيمًا) يابساً (نَذْرُوهُ) تُفَرِّقُهُ وَ تَطْرَحُهُ (الرِّيحُ) ذَاتَ الْيَمِينِ وَ ذَاتَ الشَّامَلِ

\* فذهب ذلك النبات الناضر و الزهر الزاهر و المنظر البهى فأصبحت الأرض غبراء ترابا قد انحرف عنها النظر و صدف عنها البصر و أوحشت القلب كذلك هذه الدنيا بينما صاحبها قد أعجب بشبابه و فاق فيها على أقرانه و أتراه و حصل درهمها و دينارها و اقتطف من لذته أزهارها و خاض فى الشهوات فى جميع أوقاته و ظن أنه لا يزال فيها سائر أيامه إذ أصابه الموت أو التلف لماله فذهب عنه سروره و زالت لذته و حوره و استوحش قلبه من الآلام و فارق شبابه و قوته و ماله و انفرد بصالح أو سيئ أعماله هنالك يعرض الظالم على يديه حين يعلم حقيقة ما هو عليه و يتمنى العود إلى الدنيا لا ليستكمل الشهوات بل ليستدرك ما فرط منه من الغفلات بالتوبة و الأعمال الصالحات

فالعاقل الجازم الموفق يعرض على نفسه هذه الحالة و يقول لنفسه: قدرى أنك قد مت و لا بد أن تموتى

فأى الحالتين تختارين؟

1-الاغترار بزخرف هذه الدار و التمتع بها كتمتع الأنعام السارحة

2-أم العمل لدار أكلها دائم و ظلها و فيها ما تشتهيه الأنفس و تلد الأعين؟

فهذا يعرف توفيق العبد من خذلانه و ربحه من خسارانه.

(وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْنِدًا) هُوَ قَادِرٌ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ وَ هَذِهِ الْحَالِ وَ كَثِيرًا مَا يَضْرِبُ اللَّهُ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا  
بِهَذَا الْمَثَلِ لِقَوْلِهِ {إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا  
أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ} [يُونُس: 24]

وَ قَالَ {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَاهُ مُضْفَرًا ثُمَّ  
يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ} [الرُّم: 21]  
وَ قَالَ {اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ  
ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَاهُ مُضْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ  
الْعُرُورِ} [الْحَدِيد: 20]

وَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيح: مسلم (2742) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ:-  
قَالَ: إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوةٌ خَصِرَةٌ وَ إِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَ اتَّقُوا النَّسَاءَ  
فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنَى إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النَّسَاءِ وَ فِي حَدِيثِ ابْنِ بَشَّارٍ: «لَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ» ﴿٤٥﴾

.....

أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾  
 وَيَوْمَ نُسِِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعَرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًا  
 لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ  
 مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَيْلَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا  
 وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا  
 إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ  
 بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ \* مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ  
 وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ  
 وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

(أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ) جمال و قوة في (الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) الفانية

\* كَقَوْلِهِ {زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ} [آلِ عِمْرَانَ: 14] وَقَالَ {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ [التَّغَابُنِ: 15] أَيْ: الإِقْبَالُ عَلَيْهِ وَ التَّفَرُّغُ لِعِبَادَتِهِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ اشْتِغَالِكُمْ بِهِمْ وَ الْجَمْعُ لَهُمْ وَ الشَّفَقَةُ الْمُفْرِطَةُ عَلَيْهِمْ وَ لِهَذَا قَالَ: {وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ}

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: "الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ" الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ.

\* عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: "الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ: - سُبْحَانَ اللَّهِ وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ اللَّهُ أَكْبَرُ.

\* عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ رضي الله عنه عَنْ: "الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ" مَا هِيَ؟ فَقَالَ:-

هِيَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ اللَّهُ أَكْبَرُ وَ لَا حَوْلَ وَ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

\* وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ: {وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ} قَالَ:- هِيَ ذِكْرُ اللَّهِ قَوْلًا:-

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ اللَّهُ أَكْبَرُ وَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ تَبَارَكَ اللَّهُ وَ لَا حَوْلَ وَ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ وَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَ الصِّيَامُ وَ الصَّلَاةُ وَ الْحَجُّ وَ الصَّدَقَةُ وَ الْعِتْقُ وَ الْجِهَادُ وَ الصَّلَةُ وَ جَمِيعُ أَعْمَالِ الْحَسَنَاتِ.

وَ هُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ الَّتِي تَبْقَى لِأَهْلِهَا فِي الْجَنَّةِ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَ الْأَرْضُ.

\* وَ لِهَذَا أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ الْمَالَ وَ الْبَنِينَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أَيْ:- لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ شَيْءٌ وَ أَنَّ الَّذِي يَبْقَى لِلْإِنْسَانِ

وَ يَنْفَعُهُ وَ يَسِرُّهُ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ وَ هَذَا يَشْمَلُ جَمِيعَ الطَّاعَاتِ الْوَاجِبَةِ وَ الْمُسْتَحَبَّةِ مِنْ:-

حقوق الله و حقوق عباده من: - صلاة و زكاة و صدقة و حج و عمرة و تسييح و تحميد و تهليل



و تكبير و قراءة و طلب علم نافع و أمر بمعروف و نهى عن منكر و صلة رحم و بر والدين و قيام بحق الزوجات و الممالك و البهائم و جميع وجوه الإحسان إلى الخلق كل هذا من الباقيات الصالحات (خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا) فهذه خير عند الله ثوابا

(و خَيْرٌ أَمَلًا) فثوابها يبقى و يتضاعف على الآباد و يؤمل أجرها و برها و نفعها عند الحاجة فهذه التى ينبغى أن يتنافس بها المتنافسون و يستبق إليها العاملون و يجد فى تحصيلها المجتهدون و تأمل كيف لما ضرب الله مثل الدنيا و حالها و اضمحلالها \* ذكر أن الذى فيها نوعان:-

1- نوع من زينتها يتمتع به قليلا ثم يزول بلا فائدة تعود لصاحبه بل ربما لحقته مضرته و هو المال و البنون

من مشاهد يوم القيامة 47-49



2- و نوع يبقى و ينفع صاحبه على الدوام و هى الباقيات الصالحات ﴿٤٦﴾

\* يخبر تعالى عن حال يوم القيامة و ما فيه من الأهوال المقلقة و الشدائد المزعجة فقال:-

(وَيَوْمَ نُسِِّرُ الْجِبَالَ)

يزيلها عن أماكنها يجعلها كشيء ثم يجعلها كالعهن المنفوش ثم تضمحل و تتلاشى و تكون هباء منبثا و تبرز الأرض فتصير قاعا صفصفا لا عوج فيه و لا أمتا

كَمَا قَالَ {يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا 9 وَتُسِيرُ الْجِبَالُ سِيرًا} [الطُّور] كما قال {وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ} [النَّمل: 88] وَ قَالَ {وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ} [القَارِعَةُ: 5] وَ قَالَ: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا 10 فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا 10 لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا} [طه] يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ تَذْهَبُ الْجِبَالُ وَ تَتَسَاوَى الْمِهَادُ وَ تَبْقَى الْأَرْضُ {قَاعًا صَفْصَفًا} أَيْ: سَطْحًا مُسْتَوِيًّا لَا عِوَجَ فِيهِ {وَلَا أَمْتًا} أَيْ: لَا وَادِيَّ وَلَا جَبَلٍ

وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً} أَيْ: بَادِيَّةً ظَاهِرَةً لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ وَ لَا مَكَانٌ يُوَارَى أَحَدًا بَلِ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ صَاحُونَ لِرَبِّهِمْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ خَافِيَةٌ.

(وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا) و يحشر الله جميع الخلق على تلك الأرض فلا يغادر منهم أحدا

بل يجمع الأولين و الآخرين من بطون الفلوات و قعور البحار و يجمعهم بعدما تفرقوا و يعيدهم بعد ما تمزقوا

خلقا جديدا كَمَا قَالَ: {قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ} [الْوَاقِعَةُ]



وَ قَالَ: {ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ} [هُود: 103]

## ﴿لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾

كنت طالبة في المراحل الأولى من دراستي الجامعية، وأنا من عائلة محافظة والحمد لله، ولكنني كنت متساهلة في الحجاب، بل لم أكن أتَحَجُّبُ حقيقة.

وحدث أن كنت في صلاة التراويح خلف إمام يرتل القرآن الكريم بصوت جميل وطريقة تحملك على التمعن في الآيات، وكانت قراءته في تلك الليلة من سورة الكهف حتى وصل إلى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۖ﴾ (٤٧) وَعَرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ۖ﴾ (٤٨) وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَلِّئُنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۖ﴾ (٤٩)، وفي هذه الآية تحديدًا بدأ صوت الشيخ يلين ويرق ثم بكى، وبكى خلفه وأنا أتخيل الموقف والعرض بين يدي الرحمن وعظمته، وعندما عدت إلى البيت قررت أن ألبس الحجاب وأخبرت أمي بهذا القرار، والحمد لله الذي هداني إلى طاعته ورضاه.

## (وَعَرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا)

فيعرضون عليه صفا ليستعرضهم و ينظر في أعمالهم و يحكم فيهم بحكمه العدل الذي لا جور فيه و لا ظلم \*يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ:- أَنَّ جَمِيعَ الْخَلَائِقِ يَقُومُونَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ صَفًّا وَاحِدًا كَمَا قَالَ تَعَالَى:-

{يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا} [النَّبَأ: 38]

وَ يُحْتَمَلُ أَنَّهُمْ يَقُومُونَ صُفُوفًا صُفُوفًا كَمَا قَالَ:- {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} [الفَجْرِ: 22]

(لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) بلا مال و لا أهل و لا عشيرة ما معهم إلا الأعمال التي عملوها و المكاسب

في الخير و الشر التي كسبوها كما قال تعالى: (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ

ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَ كُفِّ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ)

هَذَا تَقْرِيعٌ لِلْمُنْكَرِينَ لِلْمَعَادِ وَ تَوْبِيخٌ لَهُمْ عَلَىٰ رُءُوسِ الْأَشْهَادِ

و قال هنا مخاطبا للمنكرين للبعث و قد شاهدوه عيانا:-

(بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا) أنكرتم الجزاء على الأعمال و وعد الله و وعيده فيها قد رأيتموه و ذقتموه ﴿٤٨﴾

(وَوَضَعَ الْكِتَابَ) أى:- كتاب أعمال كل واحد في يمينه أو في شماله

\*فحينئذ تحضر كتب الأعمال التي كتبها الملائكة الكرام فطير لها القلوب و تعظم من وقعها الكروب

و تكاد لها الصم الصلاب تذوب

(فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ) العصاة (مُشْفِقِينَ) خائفين (مِمَّا فِيهِ) بسبب ما قدموه من جرائمهم

فإذا رأوها مسطرة عليهم أعمالهم محصى عليهم أقوالهم و أفعالهم

(وَيَقُولُونَ يَتَوَلَّيْنَا) يا حَسْرَتَنَا وَ وَيَلْنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِي أَعْمَارِنَا

(مَالِ هَذَا الصِّكْتِ لَا يُغَادِرُ) يترك خطيئة (صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً)

(إِلَّا أَحْصَاهَا)

ضبطها و حفظها\_إلا و هي مكتوبة فيه محفوظة لم ينس منها عمل سر و لا علانية و لا ليل و لا نهار

(وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا) مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى إنكاره

كَمَا قَالَ {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا} [آلِ عِمْرَانَ:30]  
وَوَقَالَ تَعَالَى: {يَتَّبِعُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ} [الْقِيَامَةِ:13] وَقَالَ {يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ} [الطَّارِق:9] أَيْ: تَظْهَرُ الْمُخْبَآتُ وَ الضَّمَائِرُ

(وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) مثقال ذرة فلا يُنْقَص طائع من ثوابه و لا يُزَاد عاص في عقابه.

\* فحينئذ يجازون بها و يقررون بها و يخزون و يحق عليهم العذاب ذلك بما قدمت أيديهم و أن الله ليس بظلام

للعبيد بل هم غير خارجين عن عدله و فضله. قَالَ اللهُ {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا} [النِّسَاء:40] وَقَالَ: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ

سنة الله في اهلاك الظالمين 50-59

أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} [الْأَنْبِيَاء:47]

(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ) يخبر تعالى عن عداوة إبليس لآدم و ذريته و أن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم

إكراما و تعظيما و امتثالا لأمر الله فامتثلوا ذلك

(فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ)

و قال: (ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا) و قال: (أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ) فتبين بهذا عداوته لله و لأبيكم و لكم

(فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ) فَخَرَجَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ فَإِنَّ الْفِسْقَ هُوَ الْخُرُوجُ

يُقَالُ فَسَقَتِ الرُّطْبَةُ: إِذَا خَرَجَتْ مِنْ أَكْثَامِهَا وَ فَسَقَتِ الْفَأْرَةُ مِنْ جُحْرِهَا: إِذَا خَرَجَتْ مِنْهُ لِلْعَيْثِ وَ الْفَسَادِ.

(أَفَنَتَّخِذُونَهُ) فكيف تتخذونه و ذريته أى: الشياطين

(أَوَّلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ يَتَسَلَّطُونَ عَلَى الظَّالِمِينَ بَدَلًا) بتس ما اختاروا لأنفسهم من ولاية الشيطان

الذي لا يأمرهم إلا بالفحشاء و المنكر عن ولاية الرحمن الذي كل السعادة و الفلاح و السرور فى ولايته.

و فى هذه الآية:-

الحث على اتخاذ الشيطان عدوا و الإغراء بذلك و ذكر السبب الموجب لذلك و أنه لا يفعل ذلك إلا ظالم

و أي ظلم أعظم من ظلم من اتخذ عدوه الحقيقى وليا و ترك الولي الحميد؟ قال تعالى:-

(اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ

و قال تعالى:- (إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ)

خَانَهُ أَضَلُّهُ فَإِنَّهُ خُلِقَ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ وَ أَضَلَّ خُلِقَ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ

\*مسلم (2996) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-

«خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَ خُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَّارِجٍ (المارج اللهب المختلط بسواد النار) مِنْ نَارٍ وَ خُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ»  
\*فَعِنْدَ الْحَاجَةِ نَضَحَ كُلُّ وَعَاءٍ مِمَّا فِيهِ وَ خَانَهُ الطَّبَعُ عِنْدَ الْحَاجَةِ وَ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ تَوَسَّمَ بِأَفْعَالِ الْمَلَائِكَةِ  
وَ تَشَبَّهَ بِهِمْ وَ تَعَبَّدَ وَ تَنَسَّكَ فَلِهَذَا دَخَلَ فِي خِطَابِهِمْ وَ عَصَى بِالْمُخَالَفَةِ ﴿٥٠﴾

(مَا أَشْهَدْتُهُمْ) أى:- الشياطين و هؤلاء المضلين (خُلِقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ)

أى: ما أحضرتهم ذلك و لا شاورتهم عليه فكيف يكونون خالقين لشيء من ذلك؟!

بل المنفرد بالخلق و التدبير و الحكمة و التقدير هو الله خالق الأشياء كلها المتصرف فيها بحكمته  
فكيف يجعل له شركاء من الشياطين يُؤَالِّونَ وَ يُطَاعُونَ كما يطاع الله و هم لم يخلقوا و لم يشهدوا خلقا  
و لم يعاونوا الله تعالى؟!

و لهذا قال:- (وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا) معاونين مظاهرين لله على شأن من الشؤون

أى: ما ينبغي و لا يليق بالله أن يجعل لهم قسطا من التدبير لأنهم ساعون فى إضلال الخلق و العداوة لربهم  
فاللائق أن يقصيههم و لا يدينهم ﴿٥١﴾

(وَيَوْمَ يَقُولُ)

و لما ذكر حال من أشرك به فى الدنيا و أبطل هذا الشرك غاية الإبطال و حكم بجهل صاحبه و سفهه أخبر عن  
حالهم مع شركائهم يوم القيامة و أن الله يقول لهم:-

(نَادُوا شُرَكَاءِي) بزعمكم لينفعوكم و يخلصوكم من الشدائد

أى: على موجب زعمكم الفاسد و إلا فبالحقيقة ليس لله شريك فى الأرض و لا فى السماء

(فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ) لأن الحكم و الملك يومئذ لله لا أحد يملك مثقال ذرة من النفع لنفسه و لا لغيره.

\*كَمَا قَالَ: {وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ} [الْقَصَص: 64]

(وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ) أى: بين المشركين و شركائهم

(مَوْبِقًا) مهلكا يفرق بينهم و بينهم و يبعد بعضهم من بعض و يتبين حينئذ عداوة الشركاء لشركائهم و كفرهم

بهمو تبريهم منهم كما قال تعالى:- (وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ) ﴿٥٢﴾

(وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ)

لما كان يوم القيامة و حصل من الحساب ما حصل و تميز كل فريق من الخلق بأعمالهم و حقت كلمة العذاب  
على المجرمين فرأوا جهنم قبل دخولها فانزعجوا و اشتد قلقهم

(فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا)

و هذا الظن قال المفسرون: -إنه بمعنى اليقين فأيقنوا أنهم داخلوها

\*إِنَّهُمْ لَمَّا عَايَنُوا جَهَنَّمَ حِينَ جَاءَ بِهَا تَقَادُ بِسَبْعِينَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِذَا رَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ تَحَقَّقُوا لَا مَحَالَةَ إِنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا لِيَكُونَ ذَلِكَ مِنْ بَابِ تَعَجِيلِ الْهَمِّ وَالْحُزْنِ لَهُمْ فَإِنَّ تَوَقُّعَ الْعَذَابِ وَالْخَوْفَ مِنْهُ قَبْلَ وَقُوعِهِ عَذَابٌ نَاجِزٌ.

(وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا) معدلا يعدلون للانصراف عنها إلى غيرها و لا شافع لهم من دون إذنه

و في هذا من التخويف و الترهيب ما ترعد له الأفئدة و القلوب ﴿٥٢﴾

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾  
 وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ  
 الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ  
 لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا  
 وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ  
 فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمُ الْعَذَابُ  
 بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ  
 مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾  
 فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾

(وَلَقَدْ صَرَّفْنَا) ووضّحنا و نوّعنا (فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ) أنواعًا كثيرة من الأمثال ..... لماذا ؟

الجواب:- ليتعظوا

\* يخبر الله تعالى عن عظمة القرآن و جلالته و عمومته و أنه صرف فيه من كل مثل أى: -

1- من كل طريق موصل إلى العلوم النافعة و السعادة الأبدية

2- و كل طريق يعصم من الشر و الهلاك

3- ففيه أمثال الحلال و الحرام و جزاء الأعمال و الترغيب و التهيب

4- و الأخبار الصادقة النافعة للقلوب اعتقادا و طمأنينة و نورا و هذا مما يوجب التسليم لهذا القرآن و تلقيه

بالانقياد و الطاعة

و عدم المنازعة له فى أمر من الأمور و مع ذلك كان كثير من الناس يجادلون فى الحق بعد ما تبين

(وَيَجَادِلُونَ بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ)

و لهذا قال :- (وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا) مجادلة و منازعة فيه مع أن ذلك غير لائق بهم و لا عدل منهم

و الذى أوجب له ذلك و عدم الإيمان بالله إنما هو:- الظلم و العناد لا لقصور فى بيانه و حجته و برهانه

و إلا فلو جاءهم العذاب و جاءهم ما جاء قبلهم لم تكن هذه حالهم

\* البخارى 1127- عن على بن أبى طالب:-

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طَرَقَهُ (أنه يلا) وَ فَاطِمَةُ بِنْتُ النَّبِيِّ ﷺ لَبِيْلَةً فَقَالَ:- «أَلَا تُصَلِّيَانِ؟»

فَقُلْتُ:- يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْفُسَنَا بِيَدِ اللَّهِ (نحن معذورون بعدم القيام لأننا نأثمون ولا نملك أمرنا)



فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا (يوقظنا) بَعَثْنَا فَنَصْرَفَ حِينَ قُلْنَا ذَلِكَ وَ لَمْ يَرْجِعْ إِلَى (لَمْ يَجْنِبْنِي بِشَيْءٍ) شَيْئًا

ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَ هُوَ مُوَلٌّ يَضْرِبُ فَخِذَهُ (متعجبا من سرعة جوابه) وَ هُوَ يَقُولُ: {وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا} [الكهف: 54] ٥٤

( وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ )

و الحال أن الهدى الذى يحصل به الفرق بين الهدى و الضلال و الحق و الباطل قد وصل إليهم و قامت عليهم حجة الله فلم يمنعهم عدم البيان بل منعهم الظلم و العدوان عن الإيمان كما قال أُولَئِكَ لِنَبِيِّهِمْ:-

{فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} [الشُّعَرَاء: 187]

(إِلَّا) تحديهم للرسول و طلبهم (أَنْ تَأْتِيَهُمْ) تصيبهم (سُنَّةٌ) الله في إهلاك (الْأَوَّلِينَ) السابقين عليهم

\* فلم يبق إلا أن تأتيتهم سنة الله و عادته فى الأولين من أنهم إذا لم يؤمنوا عوجلوا بالعذاب

(أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا) أو يرون العذاب قد أقبل عليهم و رأوه مقابلة و معاينة أى:- فليخافوا من ذلك

و ليتوبوا من كفرهم قبل أن يكون العذاب الذى لا مرد له ٥٥

( وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ )

لم نرسل الرسل عبثا و لا ليتخذهم الناس أربابا و لا ليدعوا إلى أنفسهم بل أرسلناهم يدعون الناس إلى كل خير

و ينهون عن كل شر و يبشرونهم على امثال ذلك بالثواب العاجل و الآجل و ينذرونهم على معصية ذلك

بالعقاب العاجل و الآجل فقامت بذلك حجة الله على العباد

(وَيُجَدِّلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ) و مع ذلك يأبى الظالمون الكافرون إلا المجادلة بالباطل و مع وضوح الحق

يخاصم الذين كفروا رسلهم بالباطل تعنتا

(لِيُدْحِضُوا) لِيُضَعِّفُوا (بِهِ الْحَقُّ) ٥٦

\* فسعوا فى نصر الباطل مهما أمكنهم و فى دحض الحق و إبطاله و استهزؤوا برسول الله و آياته

و فرحوا بما عندهم من العلم و يأبى الله إلا أن يتم نوره و لو كره الكافرون و يظهر الحق على الباطل

(بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ)

و من حكمة الله و رحمته:-

أن تقيضه المبطلين المجادلين الحق بالباطل من أعظم الأسباب إلى وضوح الحق و تبين شواهد و أدلته

و تبين الباطل و فساده فبضدها تتبين الأشياء.

(وَاتَّخَذُوا آيَاتِي) الْحُجَجَ وَ الْبَرَاهِينَ وَ خَوَارِقَ الْعَادَاتِ الَّتِي بُعِثَ بِهَا الرُّسُلُ

(وَمَا أَنْذِرُوا) خُوفُوا بِهِ مِنَ الْعَذَابِ (هَزُوا) سَخِرِيَةِ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ وَ هُوَ أَشَدُّ التَّكْذِيبِ ٥٧

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ)

يخبر تعالى أنه لا أعظم ظلماً و لا أكبر جرماً من عبد ذكر بآيات الله و بين له الحق من الباطل و الهدى من الضلال و خوف و رهب و رغب

(فَأَعْرِضْ عَنْهَا) فلم يتذكر بما ذكر به و لم يرجع عما كان عليه

(وَنَفْسٍ مَا قَدَّمَتْ يَدَهُ) من الذنوب و لم يراقب علام الغيوب

فهذا أعظم ظلماً من المعرض الذى لم تأت آيات الله و لم يذكر بها و إن كان ظالماً فإنه أخف ظلماً من هذا لكون العاصى على بصيرة و علم أعظم ممن ليس كذلك و لكن الله تعالى عاقبه بسبب إعراضه عن آياته و نسيانه لذنوبه و رضاه لنفسه حالة الشر مع علمه بها أن سد

عليه أبواب الهداية بـ (إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ)

(أَكِنَّةٌ) أغطية محكمة (أَن) لئلا يفقهوه (يَفْهَمُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَ الْبَيَانَ

\* تمنعه أن يفقه الآيات و إن سمعتها فليس فى إمكانها الفقه الذى يصل إلى القلب

(وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا) صَمَّمْ مَعْنَوِي عَنِ الرَّشَادِ يَمْنَعُهُمْ مِنْ وَصُولِ الْآيَاتِ وَ مِنْ سَمَاعِهَا عَلَى وَجْهِ الْإِنْتِفَاعِ

\* و إذا كانوا بهذه الحالة فليس لهدايتهم سبيل

(وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا)

لأن الذى يرجى أن يجيب الداعى للهدى من ليس عالماً

و أما هؤلاء الذين أبصروا ثم عموا و رأوا طريق الحق فتركوه و طريق الضلال فسلكوه و عاقبهم الله بإقفال القلوب و الطبع عليها فليس فى هدايتهم حيلة و لا طريق

و فى هذه الآية:-

من التخويف لمن ترك الحق بعد علمه أن يحال بينهم و بينه و لا يتمكن منه بعد ذلك ما هو أعظم مرهب

و زاجر عن ذلك ﴿٥٧﴾

(وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ) ثم أخبر تعالى عن سعة مغفرته و رحمته و أنه يغفر الذنوب و يتوب الله على من

يتوب فيتغمده برحمته و يشمل به إحسانه

(لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا) و أنه لو أخذ العباد على ما قدمت أيديهم من الذنوب

(لَعَجَلَ لَهُمُ الْعَذَابَ) و لكنه تعالى حلیم لا يعجل بالعقوبة بل يمهل و لا يهمل و الذنوب لا بد من وقوع آثارها

و إن تأخرت عنها مدة طويلة و لهذا قال:-

(بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ) يجازون فيه بأعمالهم لا بد لهم منه و لا مندوحة لهم عنه

(لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً) ملجأ و لا محيد عنه

\* وهذه سنته فى الأولين و الآخرين أن لا يعاجلهم بالعقاب بل يستدعيهم إلى التوبة و الإنابة  
فإن تابوا و أنابوا غفر لهم و رحمهم و أزال عنهم العقاب و إلا فإن استمروا على ظلمهم و عنادهم ﴿٥٨﴾  
و جاء الوقت الذى جعله موعدا لهم أنزل بهم بأسه و لهذا قال:-

(وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا بِظِلْمٍ مِنَّا

(وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا) أى:-وقتا مقدرا لا يتقدمون عنه و لا يتأخرون ﴿٥٩﴾ **قصة موسى و الخضر 60-82**

(وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ) يخبر تعالى عن نبيه موسى ﷺ و شدة رغبته فى الخير و طلب العلمأنه قال

(لِفَتْنِهِ) خادمه الذى يلزمه فى حضره و سفره و هو (يوشع بن نون) الذى نبأه الله بعد ذلك

(لَا أَبْرَحُ) لا أزال مسافرا و إن طالت علي الشقة و لحقتنى المشقة

(حَقَّقَ أَبْلَغُ) حتى أصل إلى (مَجْمَعٍ) ملتقى

(الْبَحْرَيْنِ)

و هو المكان الذى أوحى إليه أنك ستجد فيه عبدا من عباد الله العالمين عنده من العلم ما ليس عندك

(أَوْ آمَضَىٰ حُقْبًا) مسافة طويلة المعنى:-

أن الشوق و الرغبة حمل موسى أن قال لفتاه هذه المقالة و هذا عزم منه جازم فلذلك أمضاه ﴿٦٠﴾

(فَلَمَّا بَلَغَا) أى: هو و فتاه

(مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نِسْيَا حُوتَهُمَا)

و كان معهما حوت مملوح يتزودان منه و يأكلان و قد وعد أنه متى فقد الحوت فثم ذلك العبد الذى قصدته

فَسَارَا حَتَّىٰ بَلَغَا مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ وَ هُنَاكَ عَيْنٌ يُقَالُ لَهَا: "عَيْنُ الْحَيَاةِ" فَنَامَا هُنَالِكَ وَ أَصَابَ الْحُوتُ مِنْ

رَشَاشِ ذَلِكَ الْمَاءِ فَأَضْطَرَبَ وَ كَانَ فِي مِكَتَلٍ مَعَ يُوْشَعَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ طَفَرَ مِنَ الْمِكَتَلِ إِلَى الْبَحْرِ فَاسْتَيْقَظَ

يُوْشَعَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ سَقَطَ الْحُوتُ فِي الْبَحْرِ وَ جَعَلَ يَسِيرُ فِيهِ وَ الْمَاءُ لَهُ مِثْلُ الطَّاقِ لَا يَلْتَمُّ بَعْدَهُ وَ لِهَذَا قَالَ:-

(فَاتَّخَذَ) ذلك الحوت (سَبِيلَهُ) طريقه (فِي الْبَحْرِ سَرِيًّا) مِثْلَ السَّرَبِ فى الأرض.

\* قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: صَارَ أَثَرُهُ كَأَنَّهُ حَجَرٌ جَعَلَ الْحُوتُ لَا يَمَسُّ شَيْئًا مِنَ الْبَحْرِ إِلَّا يَبَسَ حَتَّىٰ يَكُونَ صَخْرَةً

و هذا من الآيات.

قال المفسرون إن ذلك الحوت الذى كانا يتزودان منه لما وصلا إلى ذلك المكان أصابه بلل البحر

فانسرب بإذن الله فى البحر و صار مع حيواناته حيا ﴿٦١﴾

.....

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ ءَإِنَّا غَدَاءُ نَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ ءَآثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتِيَهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَبِعَكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أَحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٤﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٥﴾

(فَلَمَّا جَاوَزَا) أى:- موسى و فتاه مجمع البحرين (قَالَ) موسى (لِفَتْنِهِ):-

(ءَإِنَّا غَدَاءُ نَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا) تعبا

و إلا فالسفر الطويل الذى وصلا به إلى مجمع البحرين لم يجدا مس التعب فيه و هذا من الآيات و العلامات الدالة لموسى على وجود مطلبه و أيضا فإن الشوق المتعلق بالوصول إلى ذلك المكان سهل لهما الطريق  
\* فلما تجاوزا غايتهما وجدا مس التعب فلما قال موسى لفتاه هذه المقالة 62

(قَالَ) له فتاه:-

(أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ) ألم تعلم حين آوانا الليل إلى تلك الصخرة المعروفة بينهما

(فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ) لأنه السبب فى ذلك

(وَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ) أى: لما انسرب فى البحر و دخل فيه كان ذلك من العجائب.

قال المفسرون:- كان ذلك المسلك للحوت سريا و لموسى و فتاه عجا فلما قال له الفتى هذا القول

و كان عند موسى وعد من الله أنه إذا فقد الحوت وجد الخضر

فإن الحوت الميit دبَّتْ فيه الحياة و قفز فى البحر و اتخذ له فيه طريقًا وكان أمره مما يُعْجَبُ منه 63

فـ (قَالَ) موسى:- (ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ) نطلب

(فَارْتَدَّا) رجعا (عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا) رجعا يتتبعان أثرهما إلى المكان الذي نسيا فيه الحوت 64

فلما وصلا إليه (فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا) وهو الخضر و كان عبدا صالحا لا نبيا على الصحيح.

(وَآتَيْنَاهُ) أعطاه الله (رَحْمَةً) خاصة بها زاد علمه و حسن عمله (مِّنْ عِنْدِنَا)

(وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا) عندنا (عِلْمًا)

و كان قد أعطى من العلم ما لم يعط موسى و إن كان موسى ~~الطاهر~~ أعلم منه بأكثر الأشياء و خصوصا فى العلوم الإيمانية و الأصولية لأنه من أولى العزم من المرسلين الذين فضلهم الله على سائر الخلق بالعلم و العمل و غير ذلك

\* البخارى 4725 - حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ عَنْ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ:-

إِنَّ نَوْفًا الْبِكَالِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى صَاحِبَ الْخَضِرِ لَيْسَ هُوَ مُوسَى صَاحِبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:-

كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ (أى أخبر بما هو خلاف الحقيقة و هذا القول تغليب من ابن عباس رضى الله عنهما وإلا فهو مؤمن مسلم حسن الإيمان والإسلام)

حَدَّثَنِي أَبِي بْنُ كَعْبٍ:- أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:-

إِنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فُسِّلَ: أَيْ النَّاسِ أَعْلَمَ فَقَالَ:-

أَنَا فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ (لامه وخطبه مخاطبة الإدلال و طالبا منه حسن مراجعته ومذكرا له بما كرهه منه) إِذْ لَمْ يَرِدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ

إِنَّ لِي عَبْدًا يَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ

قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ فَكَيْفَ لِي بِهِ قَالَ: تَأْخُذُ مَعَكَ حُوتًا فَتَجْعَلُهُ فِي مِكْتَلٍ فَحَيْثُمَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَهُوَ

ثُمَّ فَأَخَذَ حُوتًا فَجَعَلُهُ فِي مِكْتَلٍ (وعاء يشبه القفة) ثُمَّ انْطَلَقَ وَ انْطَلَقَ مَعَهُ بِفَتَاهُ يُوْشَعَ بْنِ نُونٍ حَتَّى إِذَا أَتَى

الصَّخْرَةَ وَضَعَا رُءُوسَهُمَا فَنَامَا وَ اضْطَرَبَ الْحُوتُ (تحرك مع أنه ميت وقيل كان مشويا) فِي الْمِكْتَلِ فَخَرَجَ مِنْهُ فَسَقَطَ فِي

الْبَحْرِ {فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا} [الكهف: 61] (مسلكا يذهب فيه أى بقى مسلكه كوة و لم يلتزم الماء خلفه)

وَ أَمْسَكَ اللَّهُ عَنِ الْحُوتِ جَرِيَّةَ الْمَاءِ (حالة جريانه) فَصَارَ عَلَيْهِ مِثْلُ الطَّاقِ (الثقب غير النافذ)

فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نَسِيَ صَاحِبَهُ أَنْ يُخْبِرَهُ بِالْحُوتِ فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمَا وَلَيَّلَتُهُمَا حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الْغَدِ قَالَ مُوسَى

لِفَتَاهُ {آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا} [الكهف: 62]

قَالَ: وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى النَّصَبَ حَتَّى جَاوَزَا الْمَكَانَ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فَقَالَ لَهُ فَتَاهُ:-

(أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا

قَالَ:- فَكَانَ لِلْحُوتِ سَرَبًا وَ لِمُوسَى وَ لِفَتَاهُ عَجَبًا (تعجبا من أمره لأنه خارق للعادة) فَقَالَ مُوسَى:-

(ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا) قَالَ:-

رَجَعَا يَقْصَانِ آثَارَهُمَا حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِذَا رَجُلٌ مُّسَجًى (مغطى) ثَوْبًا فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى

فَقَالَ الْخَضِرُ:- وَ أَتَى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ (من أين) قَالَ: أَنَا مُوسَى قَالَ: مُوسَى بَنَى إِسْرَائِيلَ؟

قَالَ:- نَعَمْ أَتَيْتُكَ لِتُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رَشَدًا (ذا رشد أرشد به فى ديني) قَالَ:- (إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا)

يَا مُوسَى إِنِّي عَلَىٰ عِلْمٍ (لدى علم ومعرفة) مِنْ عِلْمِ اللَّهِ (الواسع المحيط بكل شىء) عَلَّمَنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ وَ أَنْتَ عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْ

عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكُهُ اللَّهُ لَا أَعْلَمُهُ فَقَالَ مُوسَى:- {سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا} [الكهف: 69]

فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ:- {إِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا} [الكهف: 70] (أذكره لك بعلته وأبين لك شأنه)



فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ فَمَرَّتْ سَفِينَةٌ فَكَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمْ فَعَرَفُوا الْخَضِرَ فَحَمَلُوهُمْ بِغَيْرِ نَوْلٍ (أجرة) فَلَمَّا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ لَمْ يَقْبَا إِلَّا وَ الْخَضِرُ قَدْ قَلَعَ لَوْحًا مِنْ أَلْوَحِ السَّفِينَةِ بِالْقُدُومِ فَقَالَ لَهُ مُوسَى:- قَوْمٌ قَدْ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا (لِثَغْرِ أَهْلِهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا

قَالَ:- وَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:- وَ كَانَتْ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نِسِيَانًا قَالَ:- وَ جَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ فَنَقَرَ فِي الْبَحْرِ نَقْرَةً (أخذ قطرة بمنقاره) فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ:- مَا عَلِمِي وَ عِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِثْلُ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ ثُمَّ خَرَجَا مِنَ السَّفِينَةِ فَبَيْنَا هُمَا يَمْشِيَانِ عَلَى السَّاحِلِ إِذْ أَبْصَرَ الْخَضِرُ غُلَامًا يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَمَانِ فَأَخَذَ الْخَضِرُ رَأْسَهُ بِيَدِهِ فَاقْتَلَعَهُ بِيَدِهِ فَقَتَلَهُ فَقَالَ لَهُ مُوسَى: (أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا). (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ: وَ هَذِهِ أَشَدُّ مِنَ الْأُولَى قَالَ:-

{إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا} [الكهف: 76] (أعذرني في مفارقتي لأنك بلغت النهاية في التنبيه) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَا أَهْلُهَا (طلبنا منهم الطعام ضيافة) فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ قَالَ: مَائِلٌ -فَقَامَ الْخَضِرُ فَأَقَامَهُ بِيَدِهِ فَقَالَ مُوسَى:-

قَوْمٌ أَتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يُطْعَمُونَا وَ لَمْ يُضَيَّفُونَا {لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا} [الكهف: 77]

قَالَ:- {هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ} [الكهف: 78] (وقت مفارقتي إياك) إِلَى قَوْلِهِ:- {ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا} [الكهف: 82] (تفسير وبيان) فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:- وَدِدْنَا أَنَّ مُوسَى كَانَ صَبْرًا حَتَّى يَقْصُ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ خَبَرِهِمَا (أي ما قد يقع منهما أكثر مما ذكر) قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ:- فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقْرَأُ (وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَضِبًا وَ كَانَ يَقْرَأُ: (وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ كَافِرًا وَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ)

\*البخارى 74- عَنْ ابْنِ شِهَابٍ حَدَّثَهُ أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَخْبَرَهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ تَمَارَى (تجادل) هُوَ وَ الْحُرُّ بْنُ قَيْسٍ بْنُ حِصْنِ الْفَزَارِيِّ فِي صَاحِبِ مُوسَى قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:- هُوَ خَضِرٌ فَمَرَّ بِهِمَا أَبِي بْنُ كَعْبٍ فَدَعَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ:- إِنِّي تَمَارَيْتُ أَنَا وَ صَاحِبِي هَذَا فِي صَاحِبِ مُوسَى الَّذِي سَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَى لُقْيِهِ (طلب من الله تعالى أن يدلّه على طريقة لقائه) هَلْ سَمِعْتَ النَّبِيَّ ﷺ يَذْكُرُ شَأْنَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:- بَيْنَمَا مُوسَى فِي مَلَأَ (جماعة) مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ؟ " قَالَ مُوسَى:- لَا فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى مُوسَى: بَلَى عَبْدُنَا خَضِرٌ (أي بلى يوجد من هو أعلم منك وهو عبدنا خضر)

فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَيْهِ فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ الْحُوتَ آيَةً (علامة على مكان وجوده والحوت السمكة الكبيرة) وَ قِيلَ لَهُ:- إِذَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَارْجِعْ فَإِنَّكَ سَتَلْقَاهُ وَ كَانَ يَتَّبِعُ أَثَرَ الْحُوتِ (ينتظر فقده) فِي الْبَحْرِ

فَقَالَ لِمُوسَى فَتَاهُ (صاحبه الذي يخدمه و يتبعه):- (أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ

قَالَ: (ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَأَرْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا) فَوَجَدَا خَضِرًا فَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا الَّذِي قَصَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ 65

(قَالَ لَهُ مُوسَى) فلما اجتمع به موسى قال له على وجه الأدب و المشاورة و الإخبار عن مطلبه.

(هَلْ أَتَبَعَكَ) أصحبك و أرافقك (عَلَى أَنْ تَعْلَمَنَ مِمَّا)

سُؤَالٌ بِتَلَطُّفٍ لَا عَلَى وَجْهِ الْإِلْزَامِ وَ الْإِجْبَارِ. وَ هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ سُؤَالُ الْمُتَعَلِّمِ مِنَ الْعَالَمِ

(عِلْمَتِ رُشْدًا) الله ما به أسترشد و أهتدى و أعرف به الحق في تلك القضايا؟

و كان الخضر قد أعطاه الله من الإلهام و الكرامة ما به يحصل له الاطلاع على بواطن كثير من الأشياء التي خفيت حتى على موسى عليه السلام فقال الخضر لموسى: - لا أمتنع من ذلك **66**

( **قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا** )

أى: لا تقدر على اتباعى و ملازمتى لأنك سترى منى من الأفعال التى تُخالفُ شريعتك من الأمور التى ظاهرها المنكر و باطنها غير ذلك ما لا تقدر على الصبر عليه  
لَأَنِّي عَلَى عِلْمٍ مَنْ عِلْمِ اللَّهِ مَا عَلَّمَكُهُ اللَّهُ وَ أَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مَنْ عِلْمِ اللَّهِ مَا عَلَّمَنِيهِ اللَّهُ فَكُلُّ مِنَّا مُكَلَّفٌ بِأُمُورٍ مِنْ اللَّهِ دُونَ صَاحِبِهِ وَ أَنْتَ لَا تَقْدِرُ عَلَى صُحْبَتِي **67**

و لهذا قال ( **وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ** ) بأمر بباطنه و ظاهره ( **خُبْرًا** ) و لا علمت المقصود منه و مآله؟  
\*فَإِنَّا أَعْرِفُ أَنَّكَ سَتُنَكِّرُ عَلَيَّ مَا أَنْتَ مَعْدُورٌ فِيهِ وَ لَكِنْ مَا أَطَّلَعْتُ عَلَى حِكْمَتِهِ وَ مَصْلَحَتِهِ الْبَاطِنَةِ الَّتِي أَطَّلَعْتُ أَنَا عَلَيْهَا دُونَكَ **68**

فـ ( **قَالَ** ) موسى: - ( **سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا** )

و هذا عزم منه قبل أن يوجد الشيء الممتحن به و العزم شيء و وجود الصبر شيء آخر فلذلك ما صبر موسى عليه السلام حين وقع الأمر **69**

فحينئذ ( **قَالَ** ) له الخضر: - ( **فَإِنْ أَتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ** ) لا تبتدئنى بسؤال منك و إنكار

( **حَقِّ أَحَدٍ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا** )

حتى أكون أنا الذى أخبرك بحاله فى الوقت الذى ينبغى إخبارك به فنهاه عن سؤاله و وعده أن يوقفه على حقيقة الأمر **70**

( **فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا** )

اقتلع الخضر منها لوحا و كان له مقصود فى ذلك سببىه فلم يصبر موسى عليه السلام  
لأن ظاهره أنه منكر لأنه عيب للسفينة و سبب لغرق أهلها و لهذا قال موسى: -

( **قَالَ أَخَرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا** )

عظيما شنيعا و هذا من عدم صبره عليه السلام و قد حملونا بغير أجر؟ **71**

فـ ( **قَالَ** ) له الخضر: - ( **أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا** ) فوقع كما أخبرتك و كان هذا من موسى نسيانا **72**

فـ ( **قَالَ لَا تَأْخُذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا** )

أى: لا تعسر على الأمر و اسمح لى فإن ذلك وقع على وجه النسيان فلا تؤاخذنى فى أول مرة.

فجمع بين الإقرار به و العذر منه و أنه ما ينبغي لك أيها الخضر الشدة على صاحبك فسمح عنه الخضر **73**

( فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا ) صغيرا

( فَقَتَلَهُ ) الخضر فاشتد بموسى الغضب و أخذته الحمية الدينية حين قتل غلاما صغيرا لم يذنب.

( قَالَ أَقْنَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً ) صَغِيرَةً لَمْ تَعْمَلِ الْحِنْتَ و لم تبلغ حدَّ التكليف و لَا حَمَلَتْ إِثْمًا بَعْدُ فَقَتَلْتَهُ؟!

( بِغَيْرِ نَفْسٍ ) بِغَيْرِ مُسْتَنَدٍ لِقَتْلِهِ ( لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ) ظَاهِرَ النَّكَارَةِ.

و أى نكر مثل قتل الصغير الذى ليس عليه ذنب و لم يقتل أحدا؟!

و كانت الأولى من موسى نسيانا و هذه غير نسيان و لكن عدم صبر **74**